أحمد الصبَّاغ

الدليفري لا يصل إلى الحارة

مجموعة قصصية



دار العلوم للنشر والتوزيع

الدليفري
لا يصل الى الحارة

مجموعة قصصية

أحمد الصباغ

دار العلوم
للنشر والتوزيع

اسم الكتاب: الدليفري لا يصل الى الحارة
(مجموعة قصصية)
اسم المؤلف: أحمد الصباغ
الطبعة الأولى: يناير ٢٠١٥
تصميم الغلاف: [illegible]
مدير النشر الأدبي: سيد شعبان
التنسيق الداخلي: رفعت حسن سيد
دار العلوم للنشر والتوزيع
ص. ب: ٢٠٢ محمد فريد ١١٥١٨
هاتف: ٠١١٤٤٧٦٤٠٠٠
الموقع الإلكتروني: www.dareloloom.com
البريد الإلكتروني: daralaloom@hotmail.com
Facebook.com/dareloloom
Twiter: @dareloloom

دار العلوم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: ٢٠١٧٠ ٢٠١٥
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٣١٠-٤٣٣-٦

إهداء

إلى الذين اتخذوا منا جسراً إلى السعادة، وتجاوزونا إلى حياة أخرى

لم تكن أوجاعنا منكم سوى رحيق نصنع منه القصص

العائدة من الدنيا

أموت، فأنتظرك وأقسم الا تطأ قدماى باب الجنة من دونك.

لم يمنع افتراقنا قبل رحيلى اشتياقى أليك لحظة، فقصص الحب الخالدة هي غير المكتملة تلك، وحُبى لكَ خالدٌ لم ينتهِ حينما صدمتنى سيارة مسرعة على كوبرى قصر النيل ومزقت جسدى وألقتنى على صفحة الماء.

يقع عليكِ خبر موتى كديناصور ضخم وطأ بقدمه قلب عصفور ضئيل، تبكين كما لم تبكِ من قبل، ينحل جسدك الطرى الذي طالما أحببته وتغزّلت في تفاصيله، تحفر دموعك طريقًا مرعبًا تحت عينيك، تختفين عن الأنظار، وتمتنعين عن الرجال، يهاجمك الحنين إليّ بشراسة ذئب جائع، في الشوارع التي خطوناها سويًا، في الأغانى والاشعار التي سمعناها وأنشدناها معًا، في كيزان الذُرة التي تقاسمناها ساخنة كأشواقنا، تدركين بعد فوات الآون أننى كنت أحُبك، ولم أحب سواكِ، ولن يرويكِ حبٌ بعدى.

تتمنين في كل لحظة أن أعود، لكى نتصالح ونـصفو، وننبـذ العنـاد والخلافات التي عصفت بحبنا قبل مـوتى بـشهور طويلـة، وألقتنـى في جحيم الوحدة والاشتياق، تدركين أننـا نعـرف قيمـة الأشـياء بعـد أن نفقدها. . إلى الأبد.

لكن الأبد كان قصيرًا، ولم يطل انتظارى على بـاب الجنـة سـوى أشهرٍ، ثم رأيتك تأتين.

وكان رجائى الأبدى أن نبقى سويًا في الجنـة، وأن نتقاسـم التفاحـة التي كانت محرمةٌ علينا، فصارت بفضل الله حلالًا لنا.

أن نسكُن قصورًا بُنيت لنا بحيطان من ذهبٍ وعشق، أن نشرب الماء الذي لا نظمأ بعده أبدا، ألا تفارقنى نظراتك العاشقة ولمساتك الملهمـة ونبضات قلبك الصغير.

لكنهم أخبرونى ـ وليتهم ما فعلـوا ـ أننـا لـن نبقـى سـويًا، وأنـك يئستِ من روح الله، فقتلتِ النفس التي حرم الله.

ماذا فعلت أيتها التعسة . .

سأبقى على باب الجنةِ منتظرًا وسأدعوا الله لكِ.

جوفانا

From: Ahmed Al-Sabbagh

صديقتي العزيزة جوفانا بيتروفيك . .

دعيني أعترف لكِ أنني ـ منذ أن قبلتي طلب صداقتي على الفيسبوك ـ قد دخلت عالمك الرائع . . عالمك الجميل المبهر المضيء الأخاذ الأبيض كاللبن الحليب . . المشرق كأنوار الصباح الساطعة، وسمحت لنفسي بالانتقال لمدة دقائق يوميًا من عالمي المظلم القبيح بما فيه من شوارع قذرة، وبشر تعساء، وطعام ملوث، ولصوص احترفوا سرقة الكحل من العين، إلى عالمك المضيء الجميل الذي يمتلأ سعادة وعمل واجتهاد وحضارة ونظافة وجمال رباني.

أصارحكِ القول أنني كلما نظرت إلى صورتكِ التي تضعينها كصورة Profile على صفحتك في الـ Facebook ينتابني شعورٌ غريب بأن جنسًا آخر قد احتل كوكب الأرض وعاش معنا دون أن ندري أو نسمع عنه، أو أنه موجود منذ الأزل ولكنه يحيا في مكان آخر على ظهر الكوكب أو في أركان الكون المترامية الأطراف ولا نعرف له

مكانًا ولا نعرف عنه شيئا . . وأتخيل أن هذا الجنس الغريب قد قرر أن يغزو الأرض من خلال الـ Facebook والإنترنت والسياحة .

جنس غير ذلك الجنس الذي أنتمي إليه . .

جنسنا الذي يتكون من لحم ودم ، وينقسم إلى جنس خشن ، وجنس أخشن منه . . فأما الجنس الخشن عندنا فهن مخلوقات من مفترض أنهن الوجه الناعم للجنس البشرى هن من نفس ذات النوع الذي تنتمين أنت – وساندرا ونيكولا وإليجيا ودراجانا – إليه ، جنس من المفترض أنه موصوف بالرقة والأنوثة والرومانسية وهو انتماء – في بلادي ـ محفوف بالشكوك . .

لكن مقادر الحياة في وطني تركت على وجوههن سمرة كالحة ، وعلى كعوبهن شقوق مثل شقوق الثعابين ، وفي أياديهن خشونة واضحة رأى العيون وملمس الأيادي ، تركت فيهن رجولة لزوم الأزمات ، وجدعنة لزوم العثرات ، وهى أمور – لو تعلمين – عظيمة ، لكنها يا فتاتي انتقصت من رقتهن ودلعهن ومياصتهن ، وتركتهن رجال في أجساد نساء .

وأما الجنس الأخشن منه، فهو ذلك الجنس الذي يضم العبد لله وكل من يحمل شنبا تحت أنفه، ورائحة عرق يشيب لهولها الولدان، ممن يتسمون بالبهدلة والشحططة، تُشم رائحة عرقهم من مسيرة عام، وترى أصابعهم رأى العين من خلال شرباتهم المهترئة.

عزيزتي جوفانا.. يدّعي علماء الطاقة كذبًا أن الطاقة لا تفنى ولا تستحدث من عدم، ويبدو أنهم كاذبون في أصل وجههم، فبنظرة خاطفة إلى وجهك الذي يضيء في الظلام لرأوا الطاقة على حق ربنا، ولأدركوا أن من الأشياء ما يولّد طاقة عمّال على بطّال، وهذه الطاقة تفنى فناءً، وهذه الطاقة تستحدث من صميم العدم.

عزيزتي جوفانا.. أبلغي "دجوردي" العزيز خالص تحيات جنسنا الخشن إليه وإلى جنسكم الخشن، مع مراعاة فروق الخشونة بين الجنسين، كما أرسل إليكِ خالص تحيات (عفاف) جارتنا التي تستغرق أطراف النهار وأناء الليل في وضع مساحيق التجميل على وجهها ـ تلك المساحيق التي تكفي لتبييض وجه قارة إفريقيا ـ بلا جدوى، ومن مفتحات البشرة ما يحيل لون بشرتها في آخر الأمر من لون العجوة الأسود إلى لون العسل الداكن.

عزيزتي جوفانا . . أستحلفك بالله إن كنتم تعرفون سرًا لذلك البياض الشاهق والجمال النادر والأنوثة الطاغية ، فبالله عليك يا شيخة لا تبخلي علينا بها ، فقد ضقنا ذرعًا بنسلنا الذي يزداد سمرة ع الفاضية والمليانة .

لقد كنا نحارب في الستينيات والسبعينيات وقالوا لنا إن هذه السمرة هي سمرة الولاد . . السمر الشداد . . وتحدى المحن ، وانتهت الحروب ؛ وبقيت المحن ، وبقيت السمرة ، وصرنا نسمر ونسمر ، وضحكوا علينا وقالوا إن السمار نص الجمال ، وظللنا مبتورى الجمال عايشين بنصفه فقط ، ونريد أن نذوق النصف الآخر ، المُحلى باللبن ، الجمال الشاهق البياض ، الجمال الذي يخطف الأبصار ويذيب الألباب . . جمال الأجساد والعقول .

عزيزتي جوفانا . .

لقد رأيت صورتك مع صديقاتك ساندرا ونيكولا وارتميت على أقرب كرسى خشب وأمسكت بتلابيبه خوفًا من عينى التي لن تفلق الحجر فقط ولكن والعياذ بالله ستفلق ثلاثتكم . . ودعوت الله أن يزيدكن جمالًا على جمال ، وبياضًا على بياض وحاولت ألا أكنّ لكُنّ ضغينة أو حقدًا أو أنظر إليكن نظرة العابثين الضالين لكننى فشلت ،

وانطلق خيالى جامحًا يعيث فسادًا بملابسكن الملونة المزركشة وشعوركن السوداء الفاحمة، التي تتناغم مع بشرتكن الشاهقة البياض وعيونكن الحالمة، لترسم لوحة إبداعية يكاد يُسمع لها صوت.

عزيزتي جوفانا..

لقد أخبرونا ونحن صغارًا أن الله قد خيّر البشر ما بين المال والجمال وما بين الأخلاق، فاخترتم أنتم الغربيون المال والجمال واخترنا نحن أهل الشرق الأخلاق، ثم لما كبرنا أدركنا أنهم كانوا يفعلون بنا كما يفعل لص محترف بطفل بريء في ظلام بير السلم، واكتشفنا أننا لم نختر أصلًا.. لا مال ولا جمال ولا أخلاق، وأننا أمة لا تعرف للأخلاق طريقًا ناهيك عن المال والجمال، الذين لا نشم رائحتهم وإن رائحتهم لتشم من على مسيرة ألف سنة.. لكننا لم نبدأ السير بعد.

اكتشفت يا عزيزتي جيوفانا أن الجمال جزء لا يتجزأ من أي حضارة، وسبب هام من أسباب تقدم أي أمة، ولا تتقدم الأمم القبيحة أبدا، لا أتحدث هنا عن الجمال الشكلي فقط، لكن الجمال الشكلي يصنع جمالًا داخليًا عجيبًا أنظري إلى وجوه العالم المتخلف المسمى تأدبًا بالعالم الثالث.. انظري إلى وجوه الطغاة والديكتاتوريين.. انظري في وجوه المجرمين والقتلة، انظري إلى وجوه

الشعوب الجائعة، الغارقة في العرق والتراب، وقارنى بينها وبين الشعوب الشبعانة المرتوية المرتاحة المتقدمة المتعلمة المتحضرة، لا أطالبك أن تنظرى إلى المضامين لكن انظرى فقط إلى الوجوه، وستعرفين أن الجوابات تبدو من عناوينها..

إن أمتى يا عزيزتى جيوفانا لن تتقدم إلا إذا كانت أمة جميلة، وأنا أراكِ يومًا بعد يوم تزدادين جمالًا وتألقًا، وتزيد المحبة والعشق والصفاء في عينيكى الجميلتين..

عزيزتى جوفانا..

خصيمك النبى ما تبخلى علينا بزيارة حتى لو كانت سنوية أو كل خمس سنوات، فقد لا يكتب لى السفر خارج مصر أبدا، وأنا أعلم أنكِ تزورين بلدًا في كل عام، وكلى أمل أن تكون مصر هي بلد العام المقبل، فتهب عليّ رياح الشمال وأراكِ ملء العيون والأبصار والأسماع والأنوف، ولعل زيارتك إلى تلك البلاد السمراء قد تتيح للأجيال القادمة لونًا أكثر بياضًا.

أحمد الصباغ

٢٠١٠/٥/٢٥

From:Giovanna Petrovic

عزيزى أحمد الصباغ

كان لا بدَّ أن أودعك برسالتى هذه بعد أن غادرت أرض مصر وتركتك تدخل عامك السبعين، لكننى اتذكر الآن رسالتك التي أرسلتها لى منذ ما يقرب من أربعين عامًا وبالتحديد سنة ٢٠١٠ أيام ما كنا لانزال نستخدم الإنترنت والفيسبوك، والتى أكدت لى فيها أن الأمم الجميلة هي الأمم المتقدمة، وقد أخذنى الحماس وخضت تلك التجربة الرهيبة.

لم أزل أذكر ذلك الصباح الرهيب الذي صحونا فيه أنا وساندرا ونيكولا وإليجيا وألكسندرا في بيت الشباب الذي كنا نسكنه.. نعانى من ملل الراحة والخمول وكل أمنياتنا في الحياة أن نجد ما يكسر حاجز الملل.. فأنت تعلم أن فتيات أوروبيات في سن العشرين يعنى أنهن قاموا بكل جديد في الحياة ولم يعد لهم سوى انتظار المفاجأة..

وكانت المفاجأة..

رسالتك التي أدهشتنا..

ذلك الصديق المصرى الجريء الذي يدعونا لزيارة مصر لتحسين النسل . . نظرنا في وجوه بعضنا البعض في اندهاش وقد قررنا أمراً ما . .

وبالفعل يا عزيزى لم تمر ثلاثة أيام حتى كنا في مطار القاهرة . . خمس فتيات في عمر الزهور قررن أن يخُضن تلك التجربة الرهيبة . . كنت أنت في استقبالنا . . وكانت تلك هي المرة الأولى التي ألتقيك فيها وجهًا لوجه . . كنت تحمل كاميرتك . . والتقطت لنا يومئذ صوراً كثيرة . . وكانت الفرحة والدهشة تبدوان جليًا على وجهك . . أخذتنا في جولة إلى الأهرامات والمتاحف ومعالم القاهرة القديمة المدهشة . . ثم قدمتنا إلى أصدقائك هشام ومصطفى وعمر وحسين . . وكانت فرحتنا شديدة بقرب اكتمال هدفنا الذي قد أتينا من أجله . . وكانت دهشتك عظيمة حينما علمت أننا نحن الخمسة نتمنى الزواج منكم أنت وأصدقائك الأربعة . . وكانت دهشتنا عظيمة حينما أوضحت أنك لا ترغب في الزواج من أيٍ منا . . وظلت دهشتنا عالقة إلى أن قدمت إلينا إلى صديقك غريب الأطوار فادى . . وفوجئت بنفسك تحتفل مع خمسة من أصدقائك بزواجهم من خمسة فتيات أوروبيات . . ثم كنت الصديق الصدوق لنا بعد أن تم الزواج .

ولم أزل أذكر ملامح الدهشة على وجهك ونحن نحكي لك عن حملتنا التي سنقوم بها بدعوة فتيات أوروبا الجميلات لزيارة مصر ، ووجومك وأنت تطالع أخبار الصحف بأن آلافا من فتيات أوروبا قد نزحن إلى مصر في زيارات زواج أبدية ، وظللت وحدك دون زواج تراقب بنهم شديد تلك التجربة الإنسانية الفريدة ، وتتابع بشغف مبهر التغيرات التي تحدث في المجتمع وأنت ترى أبناء وبنات أصدقائك ذوي وجوه بيضاء شاهقة وشعور شقراء وعيون ملونة .

وحينما بدأت أولى الشعرات البيضاء تخطو إلى شعرك ، كنت تستمع إلى البحث العلمى الذي يؤكد حدوث تغيرات ديموجرافية في المجتمع المصرى .

أذكر يا عزيزى أحمد يوم أن أعلن الجهاز المركزي للإحصاء عن أن ٢٤,٢ مليون امرأة مصرية قد هاجرن إلى الخارج في محاولة للبحث عن عريس بعد أن امتنع رجال مصر عن الزواج من مصريات .

تذكر يا عزيزى أحمد يوم أن أصبحت فيرجينا حسانين أول رئيسة لجمهورية مصر العربية وأصبح معظم وزراء مصر من النساء .

تذكر أيام ما أصبحت الأمور في مصر في أيدى النساء ، وأصبح الرجال متفرغون تمامًا لممارسة الجنس بعد عودة نسائهن من العمل .

وتذكر حين أصبحت وجوه المصريين بيضاء وشعورهم شقراء وعيونهم ملونة لكنهم للأسف ظلوا تعساء، وظلت الشوارع قذرة والطعام ملوث والماء أسود، وظل اللصوص قائمين على مصالح الشعب، وظلت مصر تستورد قوتها من الأعداء وظلوا يبيعون المال العام بأبخس الأثمان.

عزيزى أحمد الصباغ..

لا أعلم هل أنت على قيد الحياة الآن أم لا، وأتمنى أن تصلك رسالتى وأنت في خير صحة، وكنت أتمنى أن أبقى بجانبك في أيامك الأخيرة بعد وفاة زوجى، وكنت أتمنى أن أحقق حلمك في رؤية بلادك نظيفة ومتحضرة ومتقدمة، لكن ما باليد حيلة، لقد بذلنا ما في وسعنا كله، أتينا وتزوجنا وأنجبنا واشتغلنا وحكمنا، لكن بقيت مصر كما هي.

إلى لقاء ربما لن يكون على تلك الأرض..

جوفانا بيتروفيك

١٤/ ٣/ ٢٠٤٩م

المبولة الأمريكانى

يشعر أنه في ميدان التحرير كقطة بين ناطحات سحاب نيويورك، لعن ألف مرة ذلك الصباح الذي فكّر فيه بالنزول من شقته بشبرا إلى مبنى المجلس الوطنى لاتحاد اليساريين والاشتراكيين ليلقى بكلمة رنانة هزت القاعة وألهبت الأيادى بالتصفيق . .

"خليل الرميحى" أحد أبرز رموز المعارضة في البلاد. وزعيم الاشتراكيين واليساريين وصديق حميم للشيوعيين، وملهم "الحركة الوطنية من أجل الإصلاح الاشتراكى" الأول، وأحد ألد أعداء الرأسمالية في البلاد العربية . . والعدو الأول لأمريكا في المنطقة . . امتلأت حياته بمواقفه الوطنية المعادية للرأسمالية الغربية ولأمريكا خصوصًا . . عشرات من الخطب الرنانة ضد البرجوازية الأمريكية العفنة، ورؤوس الأموال الاستيطانية في البلاد العربية، ومئات الدعوات لمقاطعة المنتجات الأمريكية انطلقت من منابره في الحزب الذي أسسه منذ أكثر من عشر سنوات . . الحزب الاشتراكى الثورى.

يتميز " الرميحى " بحب جارف من كل مرؤوسية في العمل . . اشتراكيته . . زهده وتقشفه . . ملابسه القديمة . . ونظارته السميكة . . حذاؤه المقطوع دائمًا . . شقته وأسرته الفقيرة في شبرا . . جعلت منه نموذجًا ثوريًا يحتذى به . . وفاكهة المظاهرات والندوات والمؤتمرات . . وملكًا للخطب الثورية الرنانة . . ومثلًا أعلى لكل شباب البلد الغاضب والثائر ضد الطبقية اللعينة التي تنخر في أساسات الطبقة الوسطى . . وتحيل المجتمع إلى شحاذين ومليارديرات .

واليوم اندمج بشدة في خطبته العصماء في مقر المجلس الوطنى لاتحاد اليساريين والاشتراكيين . . وأخذ يندد بانتشار رؤوس المال الأمريكية في البلاد . . وعبث الأمريكان بثروات الوطن . . وتقسيم تورتة الثروات بين مستثمرى آمريكا في الشرق الأوسط . . وأن الشعب عليه الدور الأكبر في المقاومة من خلال المقاطعة التامة للمنتجات الأمريكية . .

والآن . .

وبعد خروجه من مقر المجلس بنحو نصف ساعة اكتشف شيئًا مهمًا . . شيئًا شديد الأهمية . .

إنه كان يحتاج بشدة للتبول قبل الخروج من مقر الاتحاد . .

وإنه في زمرة انفعاله الثورى الاشتراكى ووسط مئات من الهاتفين والمعجبين قد غادر المبنى إلى شارع جانبى حيثُ سيمشى على قدميه (لا يمتلك سيارة كجزء من اشتراكيته الموغلة) إلى أقرب موقف أتوبيس حيثُ يستقله إلى شبرا .

ورغم أنه لم يدخل مسجدًا منذ خمسة وعشرين عامًا على الأقل إلا أنه لم يتردد لحظة في اللجوء إلى كل جوامع المنطقة لكنه وجدها بكل أسف مغلقة بالترابيس ، فلا هو وقت ظهر ولا وقت عصر .

الاحتباس الذي يكابده جعله يلعن سنسفيل جدود جميع الأحزاب في العالم ، وكافة المتحدثين بالسياسة ، والألم الذي يعانيه جعله يفكر للحظة لإن يلجأ إلى الحديقة المواجهة لمجمّع التحرير فيفتح سوستة البنطلون ويقضى حاجته في أكبر ميادين العاصمة ويرتاح .

لكن ذلك الشاب اللعين الذي ظهر فجأة من العدم فصافحه في تبجيل واحترام وانحنى أمامه ، ويبدو أنه أحد تلاميذ الاشتراكية الجدد ، قد جعله يتراجع عن فكرة قضاء الحاجة في الطريق العام ، حرصًا على ما تبقى من عمره ، لو تبقى منه شيئًا بعد معركة العذاب البولية .

فجأة . .

وبدون مقدمات . . ظهر أمامه المبنى الذي يحتل ناصية شارع طلعت حرب ، إنه " كنتاكى التحرير " بكل ما يحمله من رأسماليته ، وتسلطه ، وإمبرياليته ، وبرجوازيته ، لكن لمحة في ذاكرته تعود إلى عشر سنوات عندما تركه صديقه (عامر) ودلف إلى "كنتاكى " وعندما عاد علم منه أنه يضم " دورة مياه " فاخرة مريحة نظيفة ، تلك اللمحة جعلته يفكر للحظة أن يحذو حذو عامر فيدخل إلى كنتاكى ويرتاح .

. . لكن لفتة منه إلى الميدان الواسع بكل ما فيه من بشر ، واسترجاع ذكريات اليوم بما فيها من اشتراكية وشيوعية ، جعلته يتردد ألف مرة في الدخول إلى ذلك المكان البرجوازى النجس .

لكن تأتى الزنقات بما لا تشتهى البشر . .

ودخل كنتاكى لأول مرة في حياته ، باحثًا عن ذلك التواليت الفاخر النظيف ، اندفع دون أن يغلق الباب خلفه ، قضى حاجته في سعادة ، عادت الدنيا إلى رونقها الجذاب بعد تلك اللحظات الأليمة ، ونظرات الامتنان تطل من عينيه في تلذذ ، بأناقة ونظافة المكان .

من أمام كنتاكى التحرير كان الصحفى المبتدئ " حسام وصفى " يعبر مهمومًا، أتيًا من المهندسين، بعد أن طرده اليوم رئيس التحرير من الجريدة التي يعمل بها مقابل ٢٥٠ جنيه، حاملًا كاميرته، متجهًا إلى رصيف مجلس الشورى، متمنيًا أن يجد اللقطة التي تسمح له بالعودة إلى الجريدة، داعيًا الله بالتوفيق، وكانت أبواب السماء مفتوحة على مصرعيها، فقد وجد أمامه زعيم الاشتراكية الأكبر، وملهم الشيوعية الأعظم "خليل الرميحى" وهو يخرج من أبواب كنتاكى، ماسحًا يديه بمنديل كلينيكس برجوازى لعين.

في اليوم التالى، تصدرت صور خليل الرميحى" أمام بوابة كنتاكى الرأسمالية صفحات جميع الجرائد، وشهد هذا اليوم نهايته الثورية الاشتراكية، وفضيحته البرجوازية وقرار عزله من الحزب الاشتراكى الثورى صوّت عليه أغلبية الأعضاء وطرده من الحركة الوطنية من أجل الإصلاح الاشتراكى.

أماني مؤجلة

سيتوقف يومًا عن التدخين قبل أن تداهمه الأمراض، وسيجتهد في مذاكرة ملزمة الرياضة التي حصل عليها من زميل، فقد اكتشف أنه يحب الرياضة بعد أن رسب فيها مرتين، كل الحكاية أنه لم يفتح كتاب الرياضة يومًا ولم يحضر محاضرة رياضيات على الإطلاق.

ليس هذا فقط.. بل سيعلن عن حبه لرانيا قبل أن يقتنصها عريس مجهول يأتي في أي لحظة، ولطالما حدّثته عن عرسان يحومون حول البيت..

وسيتوقف عن الصريخ في وجه أمه والذى لا يعرف سببًا له سوى أن غضبه الغير مبرر ينفلت منه، فهو حقًا يحبها، وينوى مع كل صباح تقبيل يديها لكنه يخجل وسرعان ما يتحول خجله لفتور ثم إلى غضب وصريخ مع أول احتكاك.

أمنياته التي تدور في سماء غرفته كل صباح، تختفي في المساء، ثم تعود لتحلّق مرة أخرى في الصباح، شهور طويلة بل سنوات عديدة لم يتخذ فيها أي خطوة لتحقيق أمنية منهم، فبعد قليل يعود ليسحب

لفافة تبغ من العلبة الرخيصة ويشعلها، ويزيح ملزمة الرياضة جانبًا وهو يتأملها في شغف ويقسم أن يعود إليها في المساء ثم لا يعود، ويلقى صباحا فاترا خجلا على أمه وهى تتناول فطورًا بسيطًا من فول وبيض، ثم لا يشاركها الفطور بل يطلب مصروفًا مبالغًا فيه ويذهب لمشاركة صديقيه الفطار على عربية فول مجدى.

وحينما تدخل رانيا من باب الكلية تشتعل به الرغبة لمسك يديها، ثم للمسها، ثم لخطف قبلة في غفلة من المارة، ثم يتردد ألف مرة أن يخبرها بحبه، لينتهى الأمر بالصمت الرهيب منه، وبنظرات الحيرة والانتظار منها، ثم ماذا؟

ثم لا شيء..

سيخبرها غدًا، وسيشرح ظروفه التي تمنعه من الارتباط حاليًا، لكنها حتمًا ستخبره أنها سوف تنتظره، وستنتظره بالفعل، لأنها تحبّه، وسيتحتم عليه أن يعمل أثناء الدراسة ليجهّز على الأقل ثمن دبلة الخطوبة، وليمتلك أقل الحيثيات للارتباط، أو يرفضه أبوها بعد كلمات من نوعية (أنت لسة بتدرس يا بنى)..

حسنًا،

لا بأس من الانتظار شهرين، ستنتهى الامتحانات ويحصل على الشهادة الكبيرة، ويتقدم لخطبتها، وحينها سيتوقف عن التدخين، ويصير ابنًا بارًا لأمه، لكن الآن لا بدَّ من العودة لملزمة الرياضة وفهمها وحفظها قوانينها ومعادلاتها عن ظهر قلب، في المساء سيفعل ذلك بالتأكيد.

في المساء وقعت عيناه على رواية زهيدة الثمن كان قد اشتراها من سور الإزبكية، فيقرر البدء في قراءتها حتى ترتخى أعصابه ويهدأ ويعود لملزمة الرياضة.

وكلما قرأ عدة صفحات ذكّر نفسه بملزمة الرياضة، لكن لا مانع من عدة صفحات أخرى، الصورة تتحول إلى ضبابية أمام عينيه بفعل النعاس، لكنه سيقوم بعد قليل لصنع كوب ثقيل من الشاى يرده إلى اليقظة، الصورة تغيم أكثر..

لم تمض عدة دقائق حتى وجد نفسه في الكلية، يطالع نتيجة البكالوريوس، ليجد نفسه ضمن الراسبين، الحاملين لمادة الرياضة لترم آخر جديد، صعقته الصدمة وكتمت أنفاسه، وغامت الدنيا أمام وجهه وعجزت قدماه عن حمله، فحملوه وأسرعوا به إلى عيادة الكلية، استيقظ هذه المرة في المساء ليجد نفسه في المنزل وهم حوله

يبكون، ونتيجة التحاليل تخبر بإصابته بمرض خبيث، فرّت الدموع غزيرة من عينيه وأمسك هاتفه متلمسًا في صوت رانيا دواءً لنفسه المصابة، لم ترد رانيا لكنها أرسلت له رسالة قصيرة تفيد بخطبتها، غامت الدنيا أكثر، ورأى فيما يرى النائم أمه تمسك في يدها أطباق البيض والبطاطس، لكن أنفاسه ضاقت أكثر، وشعر كما لو قد جثمت الدنيا على صدره بجبالها، وخارت مقاومته فسقط الهاتف من يديه، وارتخت يداه وسط صراخ من حوله، كانت حدقتاه تتسعان بالرغم من حالته، وهو يستجدى من الدنيا فرصة أخيرة.

أظلمت الدنيا وغاص في بحر من العرق الساخن، وشعر بأقدام فيل تطبق على صدره فصار يستجدى ذرات الهواء بلا جدوى، حاول أن يصرخ مستنجدًا بأمه فلم يخرج له صوت، جفّت أحباله الصوتية، أعطى مُخه أمرًا ليديه بالحركة لتتشبث بشيء، فرفضت يداه تنفيذ الأمر، وعصته قدماه، وبدأت الجدران حوله في الانبعاج والنبض، وارتفع هدير سقوط البيت. .

ونُفخ في الصور. .

صوت بوق عالٍ يبعث على الجنون ويصم الآذان ارتفع من مكان قريب. .

ارتعد جسده وامتدت يداه لتغلق زر المنبة اللعين، وانتفض جالسًا في سريره، محدقًا برعب في عقارب الساعة، ثم خفتت أنفاسه للحظة اتسعت فيها حدقتاه في محاولة لفهم الأمر، قبل أن يتنهد تنهيدة ارتياح طويلة، ويسترخي مرة أخرى في سريره، ولسانه يلهج بالحمد والشكر..

امتدت يداه لسحب سيجارة، أشعلها ونفخ سحابة ارتياح طويلة من الدخان.

رجلٌ آخر

استيقظ من نومه والأفكار تعصف برأسه كالعادة أخذ حمامًا سريعًا اتخذ طريقه إلى المرآة ممسكًا بفرشاة تسريح الشعر. . كان كل شيء في مكانه لكنه انتفض وقد جحظت عيناه واهتز جسده بوضوح وأطلق صرخة تلقائية حينما نظر في المرآة:

ـ مين ده؟

التفت حولة وقد توقع وجود شخص يقف وراءه لكن الغرفة كانت خالية تمامًا إلا منه. . عاود النظر في المرآة فانتفض مرة أخرى وابتعد عنها ودار حول نفسه دورة كاملة باحثًا عن ذلك الشخص الذي رآه في المرآة. . لكنه لم يجد غيره بالغرفة مرة أخرى.

حدّق في المرآة فلم يجد غير نفس الشخص يحدّق به. . اقترب في حذر فاقترب الشخص بنفس الحذر. . حرك يديه في ريبة. . فحرك الشخص يديه بنفس الريبة. .

ـ مين ده؟

قالها في حذر . . وحدق في شفاهه وهى تنطق بالكلمة . . لمس وجهه وشعره تحرك حركات عشوائية فتأكد أنه هو نفس الشخص الذي بالمرآة . .

ـ لا . . ده مش أنا؟ مين ده؟

كان يرى شخصًا غريبًا يراه لأول مرة في حياته . . شخص شعره قصير ناعم بعض الشيء . . أنفه مدبب . . متوسط القامة . . رفيع بوضوح . . شخص غريب عنه . .

ارتدى ملابسه في رعب ونزل من شقته . . إلقى التحية على البواب فرد البواب بغير دهشة كانت كفيلة بدهشته . .

ـ صباح الخير يا أستاذ هشام

" هشام مين؟ إزاى هشام؟ مين هشام ده؟ "

قالها في سره واتجه لبائع الجرائد الذي ما أن رآه حتى انفرجت أساريره وقام من على كرسيه العتيق قائلا:

ـ المصرى يا أستاذ هشام؟

تناول الجريدة في ذهول سرعان ما تحول إلى صمت مشوب بعدم فهم وهو يركب المترو . . وانخرط في الحياة اليومية وهو يحاول تقبّل الإنسان الجديد في حياته .

الدباديب التي ماتت جوعًا

استيقظت المدينة هذا الصباح على حادث عجيب يحدث لأول مرة في تاريخ المدينة الممتد لأكثر من ألف عام، مصحوبًا بأصوات نسائية تولول وتصرخ، والتفاف جمع غفير من الناس حول حفرة يشير إليها شخص في ذهول ويحكي كيف رأى "الواد والبت بتاعته" قد وقعا في تلك الحفرة التي انشقّت فجأة تحت قدميهما، وأدلى كل مواطن بدلوه في تفسير ما حدث كعادة الناس في تلك المواقف، ثم بدأت الظاهرة تتكرر عشرات المرات كل دقيقة في أنحاء البلاد.

المحبين في أرجاء البلاد يتساقطون في حُفر صغيرة تنشأ فجأة ويختفون بداخلها. . انتشر الخبر واهتمت وزارة الصحة به اهتمامًا خاصًا فأرسلت إلى هيئة المساحة الجيولوجية التي أرسلت بدورها وفدًا من رجال البحث العلمى مجهزين بأجهزة أشعة سينية للكشف عن عمق تلك الحفرة، فلم تعط الأجهزة نتائج نظرًا لتخطى عمق الحفرة مساحات سحيقة غير معلومة لباطن الأرض.

بدأ الرعب يجتاح مجتمع العاشقين وقد تفوقت غريزة حب الحياة على غريزة حب الغير، وكان من السهل أن تسمع ذلك الحوار يدور بين اثنين عاشقين سابقين:

هي: أنا بحبك يا أنور.. بس معلش.. العمر مش بعزقة.. خلينا سنجل أحسن

هو: أخدتى الكلمة من على لسانى يا حبيبتى.. ياللا الوداع.. هتوحشينى

وافترق في خلال أيام ملايين الأحبة خوفًا من السقوط في تلك الحفر اللعينة التي لم يعرف لها تفسيرًا ولا حيثيات..

وتسابق العلماء والباحثون ووكالات الفضاء والكُتاب والصحفيون في تناول الظاهرة..

فقالت الجريدة القومية: حُفر تبتلع العاشقين ولا مساس بالسناجل.

وقال رجال دين متشددون: هي غضب من الله على العاشقين في غير ما أحل الله.

وقال رجال التنمية البشرية: هي أساسًا فجوة تصنعها الطاقة الكامنة في قلوب العاشقين. . ويمكن التغلب عليها بالإرادة الذاتية

وقالت جريدة صفراء في مانشيت ضخم: ننشر الأسرار الجنسية لضحايا الحفر الحمراء.

وقد نعت رئاسة الجمهورية في بيان رسمى لها ضحايا الحفر من المحبين والعاشقين، وأرسلت برقية عزاء بلون وردى إلى أهالى الضحايا.

وأخذت الظاهرة في الانحسار بعد أن افترق أغلب الاحبة خوفًا من الموت سقوطًا في الحفرة ثم بدأت معالم الظاهرة تتضح. .

ففى صباح أحد الأيام جلس رئيس المباحث يتأمل في الملف الذي قدمه له توًا أحد المساعدين. .

ده يا فندم ملخص الحالة لغاية دلوقت.

تطلع إلى الملف الضخم ثم بدأ يقرأ الملخص. .

". . . وتنشأ الحفر فجاءة تحت أقدام اثنين من العشاق يختلسان قبلة أو يمسكان بأيدى بعضهما البعض في اشتياق أو يتبادلان النظرات

الهائمة، أما العشاق في الأماكن العامة فلا تحدث معهم تلك الظاهرة، والمحبّون من عشاق النكد والخناقات لا تمسهم الحفر بسوء. . . "

بدأت تلك الملاحظات تأخذ طريقها إلى جمهور المحبين والعشاق فبدأوا في التحايل على الظاهرة.

فظهر نوع جديد من المحبين في المدينة، محبون لا يبتعدون عن أعين الناس، لا يتبادلون النظرات الهائمة، ولا تتعانق أيديهم، ولا يتبادلون الأحضان الساخنة، عشاق ينتظرون الفرج، يجلس كل منهما على مسافة متر من الآخر في مكان عام مزدحم لا ينظرون لبعضهما البعض، يحرصون على تبادل الخناقات والمشاحنات بمعدل ثابت لا يقل عن خناقة أسبوعيًا، وذلك خوفًا من انطباق شروط الظاهرة عليهم.

ومن آن لآخر. . ينسى بعض المحبين أنفسهم ويختلسون قُبلة، فيقام في ذات الليلة سرادق عزاء ضخم في المدينة، ويتبادل الأهل كلمات التعازى ويتباكون الفقيدين وتقام حول الحفرة سور صغير تُكتب عليه بحروف مذهّبة اسما الحبيبين الفقيدين. .

بعد سنوات أصبحت كل الأمور معتادة، اختفت الحفر التي تبتلع العشاق تدريجيًا دون أن يشعر الناس، لكن لم يختف الحب البارد، لا يزل المحبون يتراشقون القسوة، لم تختف الخناقات، ولا المشاحنات، وأصبح الجحود يحتل المكان الأكبر من القلوب، والبرود يغلف المشاعر بغلاف ثلجي، وظلت العيون مشتاقة للنظرات الهائمة والشفاة توّاقة للقبلات المختلسة والأحضان تحتاج لمن يسكنها.

محاولات رديئة للبوس

بالرغم من أن الشارع كان خاليًا في ذلك الوقت المبكر، فإنه كان يشعر أن عشرات العيون تتابعه، وأن الرجل العجوز الذي يرش المياه من خرطومٍ صغير أمام منزله تعمد أن يطرطش عليه، وأن الست التي وقفت تنشر غسيلها قد توقفت لبرهة لتلقى نظرة ساخرة عليه.. كان يمشي بخطوات مسرعة أقرب إلى الجرى، هروبًا من الأعين.

حتى عندما دخل الجامعة كانت تحاصره العيون أو هكذا يُخيل إليه، فهذه تسخر من ملابسه، وذلك ينظر في تعجب إلى شعره الذي مازال يتخذ الطريق إلى الأمام كالأطفال، وهؤلاء الشباب الجالسون بالتأكيد يكتمون ضحكاتهم من مشيته المرتبكة، حتى أنه كان يتجنب النظر إلى الجميع حتى لا تصطدم عينه بأعينهم..

حينما أحب (ولاء) فعل معها كل ما يتمناه ـ في خياله ـ لكنه حتى لم يجرؤ أن يلقى عليها الصباح ذات يوم، لقد سمع اسمها من الاخرين وليس منها، لم تلتقى عينه بعينيها ذات يوم، ولو أنه غامر ذات صباح مشرق وألقى إليها بابتسامة مصحوبة بكلمات، لربما

كانت قد بادلته مشاعره، لكنه لم يفعل، لأنه حتمًا لو فعل ؛ لقابلت مبادرته بالسخرية والاستياء من محاولاته الرديئة للتعارف على بنت في رقة وأدب وجمال ولاء . .

صحيح أنه عرف فيما بعد التخرج أن ولاء كانت فتاة الليل الرسمية لشباب الكلية جميعًا، وأن القاصي والداني كان يعرف قائمة أسعارها ومواعيدها، لكنه لم يصدم وإنما استقبل الخبر بابتسامة وظل محتفظًا بصورة ولاء الأولى في مخيلته، لدرجة أنه بعد عشر سنوات من تخرجه في الجامعة قابلها وهي تحاول اللحاق بأتوبيس بالقرب من ميدان الجيزة، وابتسم لظنه أنه حتمًا ستذكره، إلا أنها لم تبد أي اندهاشة أو بادرة توحي بأنها رأت هذا الوجه ذات يوم . .

لكنه نجح مؤخرًا في عقد اتفاق مع بنت تبدو في السادسة عشرة أبدت استعدادًا للبوس مقابل عشرين جنيه، وبعد عقد الاتفاق شعر أن البشر الآن يتابعونه بكل حواسهم، وأن نظراتهم لم تعد تكتفي بالسخرية وإنما بالوعيد والترقب، وظل يرسم في مخيلته آلاف الصور للحظة البوس التاريخية التي سيشهدها بير سلم البيت المهجور على أول الشارع، كما سبق ورتبت البنت البوّاسة . .

الآن.. صارت عيون الناس في المقاهى تتابعه بشغف ساخر فأصبح يهرب من المقاهى ويكتفى بالغوص في ظلمات حجرته الرطبة ذات الهواء الخانق، إلى أن استقر المقام به في مقهى يشرب فيه الناس بجوار الشيشة والشاى زجاجات من البيرة الرديئة، ويلعبون القمار في أوراق الكوتشينة وتلعب البيرة والحشيش برؤوسهم، وطوال الوقت منشغلين ما بين البيرة والقمار وأنفاس الحشيش، حتى أنه أحس للمرة الأولى في حياته أنه دخل إلى مكان ولا يلتفت إليه الجالسون..

شرابات بلا أقدام

انتَفضَتْ مُنى حينما صاحَ الديكُ بجنون يليق بكـائن لا يخجـل مـن عُرفه الأحمر الضخم، استيقـظَتْ فجأة قبل أن تطُل الشمس بعنقها مـن خلف غيوم الليل، لـم تدرِ متى استسلمت للنوم بالظبط، لكـنّ الغرفـة المرتبة النظيفة توحى أنها أنجزت مهامها قبل أن يداعب النوم أجفانها.

كان من الممكن أن يمر الأمر بسلام..

وتعاود لاحتضان مخدتها البيضاء، لولا أنها أحسّت بحركـة غريبـة غير مُعتادة خارج غرفتها، شَعُرت لوهلة أن الموقف قد تكرر من قبل، وقبل أن تتذكر متى، دخل عليها بقامتـه الـشاهقة، ووجهـه الوسـيم، وشعره الجميل رغم تبعثره، وبيجامته البيضاء المخطوطة بالطول والتى بدت مألوفة لها، يدندن صفيراً منغّمًا سمعته حتمًا من قَبل.

محتاسًا.. وقـف يتأمـل الأطبـاق الـتي رصّـها علـى التربيـزة ذات الأرجل القـصيرة بجـوار سـريرها، وبـدا متعمـدًا ألا ينظـر في وجههـا مباشرة، كمن يعدُ مفاجـأة، وهـى لـم ترتعـد لوجـوده، رغـم إنهـا في الحقيقة لا تعرفه، رجلٌ غريبٌ في غرفتها قبيل شروق الشمس، تحـدّق

فيه بدهشة لكنها لا تعترض على وجوده، ولا تخاف منه، مع إنها تحيا وحيدة منذ عدة سنوات، تمارس الحزن على أمها، وتقاوم احتياجها لفلوس أبيها المقترنة بالغباوة.

إذن..

إنه الحلم الذي يعاودها كل فترة..

ستفهم بعد قليل حينما يجلس بجوارها على السرير أنه زوجها، وإنها ليست وحيدة، وان هذا الطفل الذي يعيث فسادًا في صا.رها هو ابنهما، واسمه "ياسين"، وسيدلّلها الرجل الطويل ذو البيجامة البيضاء كابنة وحيدة لملك أسطورى، ويقبّلها ألف قبلة، ويبادر بتجهيز الفطور، ويدخل غرفتها على أطراف أصابعه، ليجدها مازالت نائمة كالملائكة، وهو لا يعرف أنها مستيقظة، تتظاهر بالنوم طمعًا في قُبلاتهِ التي تنتشر على رقبتها كما تنتشر النجوم في سجادة السماء قبيل الفجر، تتصنع الكرى عشقًا في أصابعهِ التي تنساب على جسمها كانسياب شفاة رضيع على ثدى أم.

تبتسم في هدوء، وتنهل من أصابعه أصابع البطاطس الساخنة، ثم تتبعها بقُبلة رقيقة لأنامله، تعلم أن الأمر لا يتجاوز حلما عجيبا

حَرَص أن يراودها منذ عدة أيام، حلم واضح وضوح الموتِ في حضن الحياة، حلمٌ تملؤه تفاصيل رائعة، تنقصه النهايات، سرعان ما ينتهي حينما تتخذ أشعة الشمس مكانها على النافذة، وتضطرم نيران مستعرة في المنبّه اللعين فيدوى كأجراس ألف كنيسة تتأهب لأعياد القيامة، فتقوم لتدرك حقيقة وحدتها، وتستعد لاستقبال يوم جديد تبصق فيه على مائة رجل تمارس أعينهم الجنس معها في الطريق وفى المواصلات وفى العمل.

استسلمت للحلم اللذيذ في وداعة، تركته يطعمها اللقيمات الساخنة وهى لا تعرف حتى إسمه، وتركته يطلب منها أن تساعده في إرتداء ملابسه، أخذت تغلق له أزرار القميص وهي مستمتعة بالنظر إلى وجهه غير الحليق، وعينيه المشتاقتين، فالمسألة مسألة وقت، وهى حتمًا على وشك الاستيقاظ، قررت في حماس أن تستبقى جسدها على السرير لربع ساعة بعد أن تستيقظ وستنظر للسقف في نشوة تسترجع لحظات ذلك الحلم المجيد.

حينما همّ لمغادرة البيت بحجة الذهاب للعمل، خَطَفت منه زوج الشرابات التي كان يهم بارتدائهما، وألقت بهما بجوار السرير، ووقفت على قدميه الحافيتين، وأمسكت بعُنقه في شقاوة، وطلبت منه

ألا يغادر، كانت محاولة منها لإطالة عمر الحلم اللذيذ، حاول التملص منها ألف مرّة، عضها في شحمة أذنها برفق فغاصت في حُضْنه منهارة في ضحك طفوليّ عميق، لكنها ظلت متشبثة بعنقه كي لا يُغادر.

ـ ما قدّمتش على إجازة، وأستاذ صادق ما بيصدق جنازة ويشبع فيها لطم.

قالها في حُب. . فقالت في تضرع:

ـ هيتصلوا بيك بعد شوية لما هيلاقوك لسة ما جيتش، وهتقولهم إنك مش جاى النهاردة، بس عشان خاطرى ما تنزلش النهاردة بالذات.

استسلمَ في حُضنها، واختبآ سويًا في جزيرة قُطن ناعمة مساحتها ألف فدان، تاركين الشمس تتجول في السماء، ثم رنّ التليفون في عنف، فأمسكت به وهى تستحضر كذبة ستلقيها على مسامع أستاذ صادق بعد ثانية، لكنّ صوتًا مليئًا بالطبيخ لأنثى خمسينية يختلط في صوتها الطبيخ بالوظيفة أتاها عبر الهاتف، فحدقت في الفراغ لوهلة تستمع في تعاسة من يأكل العجين وهمست في تعاسة:

ـ معلش يا مدام ثناء، راحت عليا نومة، اعملى لى ورقة إجازة الله يخليكى.

الوقوع سيرًا

ذات مرة . . وبينما هو يمشي في الشارع ؛ وقع . . فاتسخت ملابسه . . ثم بعدها تكررت الواقعة بصفة شبه يومية . . حتى احتار في أمره . . وأصبح الوقوع أثناء السير صفة ملازمة له . . حتى أنه ليقع في اليوم الواحد عشرات المرات . .

وأصبح الناس في المنطقة يطلقون عليه "الراجل اللى بيقع" وحينما ذهب للأطباء أخبروه أنه سليم مائة بالمائة . . لكنه ظل يقع أثناء السير ويزداد معدل الوقوع . . حتى استطاع الوصول بتحويشة العمر إلى مبلغ يستطيع به شراء عربة صغيرة قديمة متهالكة يستطيع السير بها تجنبًا للوقوع . .

وفى أول يوم بالسيارة التي أسماها "زئردة" كمعايرة لها على حجمها الضئيل ؛ اصطدم بحافلة ضخمة ولولا ستر الله وتكالب ولاد الحلال على إخراجه من السيارة التي هُرست لكان مصيره الموت . . وعاد للسير مرة أخرى . . وعاد للوقوع مرة أخرى .

كرر التجربة ولكن هذه المرة مع دراجة قديمة صغيرة متهالكة. . فصار الوقوع أسهل ومُوجعا بشكل أكبر من الوقوع سيرًا على قدميه. . وتحطمت الدراجة قبل مرور يوم. .

وفي النهاية قرر مواجهة الموقف بشكل عملي وحاسم. . فقام بزيارة الحاج عبده الترزي وقام بتفصيل ملابس من الخيش المبطن. . تحميه من صدمات الوقوع وتقاوم الاتساخ.

بنات الحاج إبراهيم

سبتمبر ١٩٩٥

إحداهن كانت تواعدنى سرًا فوق سطوح بيتهم المظلم، والأخرى كانت جبانة؛ لا ترضى إلا بمقابلة في منطقة بعيدة، فكنت أخذها إلى شقة أحد الأصدقاء، والثالثة تركت نفسها لى تمامًا. . وكانت تأتى إلى بيتنا لتجرى مكالمة من تليفون بيتنا الأرضى ثم تخرج وهى تخفى شيئًا ما قد بلل عباءتها السوداء المطرزة بالأحمر. . الجميل إن إحداهن لا تعرف علاقتى بالأخريات. . ما أجمل أن يخفى الرجل سفالاته.

يناير ١٩٩٣

الشقة التي تحتل الدور الثالث في المنزل المجاور لنا تستقبل ساكنًا جديدًا، يُقال إن اسمه الحاج إبراهيم، علمت أن لديه ثلاث بنات يخاف عليهن خوفًا شديدًا وزوجة. . وسمعت أنه قام في يومه الأول بالمنطقة بمشادة مع أحد الشبان لمحاولته اختلاس النظر إلى إحدى فتياته.

أبريل ١٩٩٤

" الحاجة فوقية مرات عم إبراهيم ماتت "

بهذه الكلمات نطق ابن أختي وهو يشير بإصبعه الصغير نحو البيت الذي تجمعت فيه نسوان المنطقة ورائحة الموت تتصاعد منه.

أكتوبر ١٩٩٦

الحاج إبراهيم يربت بيده على كتفي وهو يقول في خشوع:

أنت الله يبارك لك يا أستاذ أحمد.. آية في مصحف.. زينة شباب المنطقة.. أدب.. وأخلاق.. وهدوء.. في حالك.. وما لكش دعوة بحد.. طب والله أنت الوحيد في المنطقة اللي بعتبره أخو البنات.

ديسمبر ١٩٦٥

يتأمل إبراهيم وجهه في المرآة.. يتأكد من استقرار تسريحة شعره " البوجودية " وينظر في رضا إلى حذائه البانص اللامع.. يفك زرار القميص الأبيض العلوي، فتظهر شعرات سوداء في صدره توشي بفحولة مغرّية.. يتلفت حوله.. فيجد الوالد ممددا بجوار الراديو وقد وضع يديه على عينيه وراح في غفوة.. يقترب من شيش النافذة في حذر يفتحه قليلًا.. ليجد " رباب " تقف قلقة في البلكونة.. ما أن

تراه حتى ترمقه بنظرة عتاب سريعة . . تعقبها نظرة ذات مغزى . . ثم تعود رباب في المساء وهى تهندم جيبتها القصيرة .

نوفمبر ٢٠١٠

أشعر بثقل شديد في رأسى . . لا أستطيع الاستمرار في القراءة . . زوجتى في المطبخ . . لو أخبرتها أننى أود النوم ستتوقف عن صنع الأرز باللبن الذي أحبه وستنام هي الأخرى . . إذن لا بدَّ أن تأخذ بحسى . . سأستعرض بعض القنوات التليفزيونية . . سأزيد صوت التلفاز حتى تشعر بنشاطى . . وسأتركه عاليًا . . أستسلم لغفوة . . مددت جسدى على الكنبة . . أشعر بالخدر يسرى في كل أطرافى . . أغمضت عينى في لذة . . رأيت ما بين الحلم واليقظة كما لو كانت زوجتى تخرج من غرفة النوم عبر الصالة على أطراف أصابعها . . العجيب أنها كانت ترتدى أبهى ملابسها . . ونظرت في حذر وارتاحت حينما رأتنى في غفوة . . ثم خرجت . . وحينما عادت كانت تهندم فستانها الأنيق .

الديليفرى لا يصل إلى الحارة

بالرغم من ذلك الإحساس اللذيذ بالحب الذي بدأ ينتشر في الهواء بينهما وهم يشمان الورد سويًا في حديقة الجزيرة، لكنه لا يستطيع أن يخبرها أن عامل ديليفرى كنتاكى، لو دخل إلى الحارة التي يسكن فيها سيأكل ضربًا مبرحًا من أهل الحارة، الذين سوف يعتقدون بالتأكيد أنه "حرامى جاى يهبأ على البيوت"، لأن حارته التي توجد بمنطقة غامضة في أدغال القاهرة الشعبية لم تعرف يومًا ساكنا طلب "ديليفرى من كنتاكى".

كان في كل مرة تقترح عليه أن يطلب الأكل بالتليفون، يتحجج بأنه سيذهب بنفسه ليشترى الأكل حتى لا يحرم نفسه من ممارسة بعض الرياضة، وهو في الواقع يخرج حتى يعقب ساندوتشين الفول والواحد طعمية بواحد شاى كشرى خمسينة على (مقهى عفانة) الذي لا يدرى هل سموه "عفانة" نظرًا لطبيعة المقهى أم أن المقهى "معفنة" نسبة لاسم صاحبها.

اقتراحاتها الدائمة بأن يسحب فلوس من ماكينة الـ "إيه تي أم" طالما أن مش معاه فلوس تكفي . . تصيبه بالغثيان، ويرد عليها بأنه نسيها في البيت، وإنه هيأجل شراء كذا وكذا ليوم آخر . .

كان بوّده أن يصف لها محل الطرشي المتر في متر الذي يمتلكه والده، ويحكي لها عن الشقة ذات الحجرتين دون صالة، ذات حمام دون أي مساحة كافية للوقوف، والتي يسكنها مشاركًا أبوه وأمه والخمس إخوات فوق روس بعض، لكن لذة الحب الغض الذي بدأ ينمو كما تنمو البرعمة الخضراء في بستان الحياة أقوى من تلك الشجاعة التي قد تنهي عشقا قبل أن يأخذ مكانه تحت الشمس .

طعمها مُختلف

لست أدرى ما السبب في هذا الطعم المختلف لذلك الفنجان من القهوة؟ إنه نفس البن الذي أشربه كل مساء، والذى اشتريته منذ أيام، ولست أدرى لما ثقلت رأسى حتى تطوحت حينما شرعت في شرب هذا الفنجان.

إن تلك المرأة التي في المطبخ لاشك تحبنى، وإلا لما فعلت كل هذا لأجلى، صحيح أننى عصبىّ وأننى أتغيب عن البيت كثيرًا، لكنها على الأقل لا تعرف شيئًا عن عشيقاتى، والنساء لا تحزن إلا حينما ترى وحينما تعرف.

لذا فأنا أرفض ما جال بخاطرى حيال تغير طعم البن في الفنجان، وعن رأسى التي تتطوح وأطرافى التي لم أعد أستطيع تحريكها، ولست أدرى لماذا أنا مستمر في شرب الفنجان رغم كل هذا، يبدو أننى وثقت بها أكثر من اللازم حينما أصبحت أشرب وآكل من يدها دون حذر.

إن أطرافى بالفعل غير قادرة تمامًا على الحركة، وأرى الدنيا بعينين نصف مغمضتين، وأراها قادمة نحوى تنظر لى في ترقب وفضول،

وتقلبنى كمن يكشف على دجاجة ميتة ، وأراها تبتسم حينما رفعت يدى فسقطت ، فيما يبدو أنها علمت بأمر عشيقاتى . .

الرجل الذي مات من كُتر الحياة

جاءنى الرجل الذي اعتاد أن يشاركنى جلستى على المقهى الذي اعتدت الجلوس عليه بمفردى، رجل رقيق الحال أو بمعنى أدق يظهر فقره في ملابسه المهلهلة التي تتضمن أكثر من رقعة، وذقنه المنبتة دائمًا، والتى تضفى على مظهره الكثير من البؤس وسيجارته الرخيصة ذات الدخان الأسود، والتى لا تفارق أصابعه فتجعله شبيه بمدخنة، ومداسه التي لا يتجاوز شبشب بصوباع، وعلمت من عدة جلسات شاركنى فيها شرب الشاى الكشرى أنه يعمل في فرن بمنطقة قريبة، وأنه لا يمتلك من حطام الدنيا سوى خمسة عيال فوق روس بعض وزوجة – بالطبع نكدية – لكنها غلبانة ويتيمة وتعبانة في عقلها وبنت كلب على حد وصفه الدقيق.

جاءنى اليوم وفى عينيه بريق غير معتاد، وكنت قد اعتدت عليه فأصبحت لا أتضايق من مشاركته لخلوتى دون استئذان، وأصبح بالنسبة لى شيئًا معتادًا مثل الكراسى أو الطقاطيق التي تملأ المقهى. . باختصار أصبحت نظرتى له نظرة حكومية بحتة كالتى تنظر بها الحكومة للمواطن من قديم الأزل. . المواطن هو كائن موجود في مكان

ما . . قريب أو بعيد . . لا يضر ولا ينفع . . يتمدد وينكمش حسب الحالة . . يمكنك أن تستمع له أو تتجاهله . . ولا يتذمر .

جاءنى وسيجارته على وشك الانتهاء فأصبح اهتمامه موزعًا بين الكلام الذي بدأه في حماسة ، وبين سيجارته التي تلسع أصابعه الطويلة العجفاء . .

قال لى وهو يزغدنى بأصابعه في ذراعى :

ـ تعرف يا أستاذ؟ أنا عندى واسطة كبيرة قوى . . واسطة أكبر منك ومن أي حد تانى في الدنيا .

نسيت أن أخبرك أنه يعتبرنى بنظارتى وبنطلونى وقميصى المكوى شخصًا مهمًا . . ودائمًا ما يقول في وسط كلامه " أنا شوفت واحد راجل أفندى محترم كدة زيك يا أستاذ " في إشارة واضحة لكونى من الأفندية المحترمين .

سألته في ابتهاج مصطنع بعد أن سحبت نفسًا حكيمًا من الشيشة ورشفت رشفة حارة من الشاى متبوعة بـ أحححححح عميقة :

ـ بجد؟ واسطة مين؟ فرحنا معاك

فضحك ضحكة تعنى " أقولك إيه بس ولا إيه ده أنت على نياتك " لكنه استطرد في حماس :

عليا الحرام من بيتى أنا أعرف واحد حبيبى . . لو عرف إنك زعلتنى يمسح بيك الأرض والسما . . ولو حبيبى ومراضينى يكرمك ويخليك باشا . . ملك . . سلطان . . لو عايز . . بقولك واسطة كبيرة أوى . .

نظرت له في حول وقلت بعد رشفة قصيرة من الشاى :

ـ وزير يعنى؟ تعرف وزير إنت مثلا؟

ضحك ضحكة آطول ساحبًا منى "لىّ الشيشة" كما تعوّد، فسارعت بطلب شيشة أخرى، وقال بعد شرود في الأفق أعقب سحب عدة أنفاس من الشيشة :

ـ واسطتى عنده أملاك في كل الأرض . . وفى السما كمان . . شايف القمر اللى هناك ده؟ أهو ده بتاعه . . ملك . . مش تقولى إيجار قديم وجديد . . تمليك مُخلد . . أبد الآبدين . . واسطتى هو اللى بيأكل الناس ولاد القحبة دول كلهم . . وهما بيعاملونى بعنطزة ما يعرفوش أنا مين . . أنا حبيبه . . والله ما بيأخر عنى حاجة . . جميع شيء بطلبه بيدهونى قبل ما أطلبه . . عارف يا أستاذ؟ إمبارح نفسى

راحت للحواوشي . . وقررت أجيب رغيف حواوشي بجنيه من واحد عندنا في المنطقة بيبيع أرغفة حواوشي بجنيه . . بس وأنا هناك افتكرت العيال . . آكل حواوشي من غيرهم؟ أتسممه واطفحه . . رجعت وأنا نفسى رايحة للحواوشى . . روحت البيت لقيت الولية أم ربيع جارتنا عاملة حواوشى وجايبة للولية مراتى خمسترغفة . . وحياة العشرة الكرام دول . . خخخخمسترغفة . . قعدنا ناكل فيهم لغاية ما اتكرعنا . . .

ثم اقترب برأسه مني وعيناه تحمل نشوة الانتصار ، وأكمل :

ـ هاااا؟ صدقتنى بقى؟ بيأخر عنى حاجة؟ مش قولت لك؟ أنا حبيبه . . والله حبيبه . . فاضل لى بس أركعها . . ما بصليش ولا عمرى ركعتها . . بس حبيبه . . عشان أنا بحبه . . وبفتكره طول الوقت . . وكل ما تحصل حاجة حلوة . . أضحك . . وابص للسما وأضحك . . وأقوله إنت حبيبى . . ولما تحصل حاجة تضايقنى . . أقوله ما تزقّش . . ما أقصدش أزعلك . . إنت في قلبى . . أنا من غيرك ولا حاجة . .

أدركت أن الرجل قد أصابته لوثة عقلية ، فسألته في قلق :

ـ العيال ولادك كويسين يا حاج؟

ـ ولاد كلب . . مطلعين ديك أمي . . واحد عايز يتعلم ومصمم . . وأمه بنت الكلب مقوياه عليا . . يتعلم منين وأنا بأكلهم اللقمة الحاف بالعافية . .

ـ طب إنت سليم يا عم؟ شغلك عامل إيه؟

تنحنح في حزن ثم ابتسم ابتسامة تخفي وراءها مرارة، وقال بعد أن سحب نفسًا طويلًا من الشيشة :

ـ الراجل صاحب الفرن ابن المرة طردني النهاردة عشان بقوله هات بقية الشهر اللى فات . . خمسة وأربعين جنيه . . منشف ريق أمي عليهم . . طلبتهم منه وقولت له المَرَة طالع لها دمّل وعايزة تروح لدكتور قام طاردني من الفرن . .

سادت لحظات من الصمت الحزين بيننا، لكنه عاد لحماسته مرة أخرى وهب كمن تذكر شيئًا :

ـ بس إيه سيبك إنت . . ولا يهمني . . بقولك أنا حبيبه . . تصدق بالله؟ أنا روحت لقيت المَرَة فقعت الدمل ومش محتاجة دكتور . . والبيت فيه الفول والمَرَة عاملة بصارة . . يعني العيال بتاكل وتطرطر وتنام وتشخر . . بقولك أنا حبيبه . . مش ممكن ينساني . . في حد بينسى حبيبه؟

فيض الكريم

أمسكَ بالكيس في توتر، ثـم أخفـاهُ في جيبه الـصغير فبـدا الجيـب منتفخًا مُلفتًا للنظر، تلفّت حوله في ريبة، واتخذ سبيله في الحارة سربًا، حتى أتى على ركن مظلم، فأخرج الكيس ونظر له في شهوة، ثم قرّبـه من فمه الصغير، ونفخ فيه عدة مرات حتى انتفخ الكيس عـن آخـره، وهو يغلق فم الكيس بيده الصغيرة، ثم أخذ يرج الكيس بعنـف رقيـق يتناسب مع سنوات عمره السبعة، حتى إذا ما اختلطت محتوياته، ربـط عنقه فأغلقه، ثم خرمهُ، خـُرمًا صغيرًا قد لا تراه عينـاك، لكـن عينيـه رأته خـُرمًا أوسع من اللازم، ثـم وضـع الخـُرم الـضيق بـين شـفتيه، وأخذ ينهم في فيض "الكشرى" المتدفق في لذة فاضـت لـشطتها عينـاه بالدموع.

الجديد الذي لا يموت

استيقظت من نومها وحيدة تعيسة جائعة تتلفت حولها كأنما تتوقع وجود أشخاص، وهى تعلم علم اليقين أنها وحيدة في ذلك البيت البارد. . قررت أن تفعل اليوم شيئًا مختلفًا. . شيئًا مجنونًا. . فالعمر جرى. . ولا وقت للأشياء التقليدية. . قررت أن تنزل الشوارع وتعبر أكثر الميادين اتساعًا وازدحامًا. . وتستوقف أول شخص يعجبها وترتاح لمظهره وتخبره أنها تحبه. . وتتلقى رد فعله أيًا كان. . حتى لو كان إهانة أو تجاهلا أو سخرية أو غزلا وقحا. .

وفى الميدان الواسع الكبير. . كانت الشمس لا تزال حانية. . في تلك الساعة المبكرة. . وجدته يقف في الجزيرة الخضراء التي تتوسط الميدان. . ينظر إلى ساعته. . مرتبكًا يتلفت حوله. . يرتدى ملابس بسيطة وأنيقة ومنمقة. .

اقتربت منه في تربص. . وقبل أن تنطق بشيء ما وجدته ينظر لها بلهفة ويسألها بلهجة غير مصرية عن مبنى حكومى شهير. .

أجلت فكرتها المجنونة وأشارت له أن يتبعها، وفى الطريق نظرت له مليًا وسألته أسئلة كثيرة أجابها بترحاب، عرفت منها أنه سورىّ نازح إلى القاهرة هروبًا من القتال الضروس الذي فقد فيه ثلاثة من أفراد أسرته، وأنه يشارك العديد من الشباب والفتيات السوريات في سكن ضئيل يستقر فيه مؤقتًا في المدينة المزدحمة.

قابلت معه آخرين وأخريات في المبنى الحكومى، قدمها لهم على أنها صديقة مصرية، سعدوا بها كثيرًا وأرشدتهم، وقضت معهم يومًا طويلًا، شكروا لها وقتها وجهدها التي بذلتهم من أجلهم.

وابتسمت وهى تدخل إلى شقتها الباردة وتتذكر فكرتها المجنونة في الصباح، استلقت على فراشها البارد، واحتضنت مخدتها.. وشعرت بدفء ما.

ذات صباح

اليوم استيقظ الجميع مبكرًا . . استيقظت البقرة في الصباح الباكر فقد كان لديها يوم عمل شاق استعدادًا للعيد، وذهبت لشراء كيلو لحم بني آدمين واختارت ورك طفل.

ثم جلست الملوخية في الشمس وفي يديها حزمة من البشر ظلت تقطفهم وتلقي بالرؤوس في وعاء، بينما أنهت الذبابة رش البشر الواقفين بالقرب منها طلبًا للأكل بالبيرسول فماتوا، بينما تبقى إنسان رخم ظل يلح في طلب الأكل.

وجلست عصفورة عند الشباك تلقي بالحَب على التلاميذ المارّين من الشارع بينما التلاميذ يتهافتون على الحب في سعادة.

وعاد الكمبيوتر من الخارج منهكًا فجلس بعد أن آخذ شاور دافئ على المقعد الوثير ووضع الشاب أمامه وضغط على أذنه وظل ساهرًا حتى الصباح يلعب في أصابعه وأزرار قميصه.

وجلست حبوب البن وحبات الشاى والحلبة علـى كراسـى المقهـى في شغف وهم يلعبون الطولة، وأمام كـل مـنهم كـوب بـه مـاء مغلـى وبعض البشر.

وكلٌ في فلكٍ يسبحون.

إضافة وحذف

أحبته حينما وجدت منه Add وأصبح يومها يبدأ مع أول كومنت له في بروفايلها، فيدخل نسيم الصباح من شباكها، وتتنفس السماء عطرًا كلما طبع على وجنتيها Like . . أصبحت تشتاق إليه وهو لم يزل بين يديها في الـ Chat . . ونمت صداقتهما من الـ Profiles . . إلى الشوارع الفرحانة بلقائهما . . حتى أتى اليوم الذي أدركَت فيه أنه شخص سريع الغضب . . وأن الطيبة التي تملأ ملامحه تخفي وراءها حليما، عنيفا ـ إذا غضب ـ لدرجة القسوة. ولم تدر أنها أغضبته بحق، إلا حينما ضغطَ على زر Unfriend . . فلم تسارع بإصلاح ما أفسدته، لكنها حوّلت غضبه إلى سخط، فلم يكتف بالـ Unfriend وإنما أرضاه الـ Block . . فعاودت الظهور في حياته بشخصية جديدة . . واسم جديد . . وبروفايل جديد . . وصورة جديدة . . فتقبّلها بقبول حسن وأنبتها بين كفّيه نباتا حسنا . . وصارت تحكي بلا خجل ما كانت تخجل منه . . وتبث إليه اشتياقها بلا قيود . . حتى أتى اليوم الذي أصر على لقائها بعيدًا عن الواقع الافتراضي، فأدركت أن

حياتهما الثانية ستظل تائهة في الفضاء الإلكترونى إلى الأبد، وستموت لو يومًا هبطت إلى الشوارع الفرحانة.

تحت بير السلم

بعد عشرات المحاولات من الاتصال على موبايلها كان يجده مُشغولًا بعد منتصف الليل بساعة، وهي التي عهدها "فرخة" تنام من التاسعة عشاءً. . فقرر اقتحام ليلها باتصال على تليفون المنزل. . أتاه صوتها دافئًا هادئًا نائمًا مندهشًا يخبره أنها قد نامت منذ ساعات. . فاعتذر لهذا الاقتحام المفاجئ وأغلق. . لكن قلبه المترغوش جعله يعاود الاتصال مرة أخرى بالموبايل ليجده مشغولًا لساعات. . أتاه هاجس قد راوده منذ أيام. . فأخرج رقم هاتف صديقه "حسام" واتصل به. . ليجده مشغولًا هو الآخر. . فارتدى ملابسه قبيل الفجر بلحظات. . وحمل سكينًا حادًا. . واستقل أول ميكروباص متجها للمنطقة التي تسكنها. . وقصد بيتها. . واختبأ في ظلام بير السلم. . منتظرًا إياها حينما تنزل إلى الجامعة في السابعة صباحًا حتى يتم انتقامه. . لكن قبل أن تأتي السابعة. . فوجئ بها عائدة من الخارج. . تتطوح قبيل شروق الشمس.

ابن حرام مصفّى

كان نهار أسود ذلك النهار الذي أخطأ فيه هذا الخطأ الذي سينهى حياته الزوجية على نحو مهين ومؤسف . .

إنه مثل كل الأخطاء المدمرة التي تغير مسار الحياة تمامًا وتخلف وراءها ضحايا وجثث وغبار ويأس وموت وسكون .

صحيح أنه يأتى إلى العمل منذ أسابيع معكر المزاج بفعل الخلافات التي بدأت تتزايد بينه وبين زوجته ، وصحيح أنه يقضى أغلب الوقت بأعصاب متوترة . . لكن ظهور "زهرة" أو "روز" كما يحب أن يناديها ؛ في حياته جعل منها نعيمًا دام ثلاثة أسابيع بالتمام والكمال ، قابلها خلالهم ثلاث مرات . . وأرسل عشرات الرسائل الهاتفية واستقبل عشرات المكالمات ، التي كانت تأتى بصوتهاالدافىء . . صوتًا لطيفًا هادئًا مليئًا بالحب الصافى ، الأمر الذي جعله يتعامل مع خلافاته مع زوجته بلامبالاه تليق بزواج الصالونات التي أسفر عن عامين من الزواج ، وطفل .

واليوم ذهب كالعـادة إلى العمـل، وكالعـادة استقبل يومـه بكتابـة رسالة اشتياق رقيقـة إلى زهـرة الـتي يحفـظ رقمهـا علـى هاتفـه باسـم "روز" ، ثم يرسل الرسالة، ثم يكتشف بعد أقـل مـن عـشر ثـوان أن الرسالة لم تذهب إلى "روز" ولكن ذهبت – عـن طريـق الخطـأ – إلى روحية . . حماته.

نهار أسود ومهبب ومش باين له آخر . .

صرخ أسامة ـ دون أن يدرى ـ بصوت سمعـه جميع مـن في المكتـب واكتفوا بنظرة استطلاع وقد ظنـوا أن المـدير قـد طلبـه – كالعـادة – في خناقة صباحية أو أن خطأ في الحسابات قد عكر صفو صباحه.

لكنه القدر الذي لم يمهله . .

الرسالة التي يطلب فيها من زهرة أن يقابلـها مـساء الغـد مـشفوعة بكلمات حب ساخنة قد ذهبت إلى حماته.

وعليه . .

فهو من الآن مطالب بالاستعداد لفضيحة تنتظره عند الذهاب اليـوم إلى حماته، إنه يوم الخميس العطلة الأسبوعية لزوجته، الذي تذهب فيه إلى بيت أمها، ويمر عليها هو حاملًا الفاكهة . . لزوم الزيارة.

المصيبة أنه ومنذ ثلاث أسابيع قد اخترع فكـرة السفر للإسـكندرية كل جمعة منتدبًا من المصلحة التي يعمل بها للإشراف على بعض الجـرد الاستثنائي في مخازن المصلحة بالاسـكندرية . . والموضـوع لا فيـه جـرد ولا يحزنون، وكل الحكاية إن قضاء يوم الجمعـة مـع روز بـالقرب مـن البحر له مذاق مختلف .

حماتة تتربص به، بعدما علا صوت خلافاتهما، وحماه يتعامـل معـه بفتور، وزوجته لم تعد تلك الفتاة الرقيقة التي تجلس في الصالون أمـام العريس الذي جاء ليراها، حتى أخوتهـا الـذين كـان يعتـبرهم أخوتـه وأصدقائه، صاروا – بفعـل كلمـات الأم – مـراقبين، ينظـرون لـه في ترقب مزعج .

إنها الرسالة التي قصمت ظهر البعير . .

ستتصل به حماته وتأمره بصوت مخيف بالقدوم فورًا إلى منزل حمـاه، وسيذهب ليجد كل افـراد عائلـة زوجتـه في انتظـاره واسـتقباله بزفـة، فيُجبر على الطلاق، ولا شفيع له، إنها الخيانـة علـى أصـلها، رسـالة غرامية لعشيقته، أحس لحظتها بجرم ما فعله، ورأى نفسه الخائن الـذي ألقاه حظه العثر تحت أضراس الضحية، لتفتك به، وتبعثر كرامته على أرضيه مستقبله المظلم .

لم يرن الهاتف مطلقًا طوال النهار، وبالتحديد حتى الواحدة والربع، والتى عندها تسارعت الأحداث كما لو كان فيلمًا يتم عرضه بالنمط السريع لتتلاصق الأحداث. . ورن الهاتف.

لم يكن رقم حماته ولا رقم زوجته، ولكن كان رقمًا غريبًا لم يُسجل باسم، وصوت زوجته منهارا. . ارتعدت فرائصه، وصار ككتكوت وقع في إناء شربه، انتظر صرختها في وجه وشتائمها واتهامها له بالخسة والنذالة، ولكن أبدا لم يحدث. . لكن نعت له أمها التي ماتت منذ ساعتين وهى عائدة من السوق في حادث سيارة مؤلم.

في المساء. . وقف يستقبل العزاء مع الواقفين حتى إذا ما انفض الجميع ارتمت ريهام في حضنه باكيةً منهارة، وربت عليها وضمها في حنان صادق، ثم انتفض واقفًا وسأل عن متعلقات المرحومة. . شنطتها. . بطاقتها. . هاتفها.

أخبروه بأن ابن الحرام قد استغل الحادث وسرق المتعلقات، ولم يُعثر لها على أثر، ولأول مرة في حياته يدعو الله بأن يكون ابن الحرام ذو ضمير ميت لا يتوب. . ابن حرام مصفّى.

حتى لو جاء الفرج

تستقيظ جيهان كل صباح على نفس الوشوش ونفس الأصوات في الحارة وعلى نفس الحركات التي تؤديها كل يوم، تصنع الإفطار لأبيها المريض بستة على الأقل من الأمراض المستعصية، وتعطيه الدواء وتغير له ملابسه، ترتدى ملابسها أو بمعنى أدق "هلاهيلها" التي لم تتغير منذ سنوات طويلة، تتجه لبوتيك الملابس التي تعمل فيه بوسط البلد، تتحمل رزالات الزبائن وقلة أدب صاحب المحل ومضايقات الزميلات اللاتي يتراوحن ما بين فتاة ليل داعرة ومراهقة مستهترة وعفيفة ساخطة. تعود إلى المنزل لتمارس ما فعلته في الصباح ثم لا تنتهى طلبات الأب طوال الليل.

حتى لو جاء الفرج وتقدم العريس لينتشلها من دخول الثلاثين.. ترفض؛ فالأب صاحب السبعة وسبعين عامًا ليس له إلا هي.. صحيح قد بدأ جسدها يشتعل برغبات ملتهبة، وصحيح أنها تحلم بحضن رجل يطقطق ضلوعها لكنها مازلت تذكر أن الأب كان سببًا لوجودها، وتربيتها، وكما تحمّلها صغيرة فلابد أن تتحملـه كبيرًا، وهى بعد رحيل أمها مصدر الرعاية الوحيد، وصحيح أن حياتها

جحيمًا بطلباته التي لا تنتهى والتى تشبه الى حد كبير طلبات طفل في سن الرضاعة، لكنه أفضل من كثيرين يضربون بناتهم ويعتدون عليهن.

وبدأت عامها الثانى والثلاثين عذراء، وبدأ أبوها عامه الثمانين بالملعنة، ضرب وتكسير وشتائم وخلق ضيق وصياح طوال الليل وأطراف النهار، وبدا كما لو كان الله وهبه بعضًا من الصحة تمثلت في خروجه للوقوف في شرفة العمارة وبلكونة الشقة ما أسفر عن شكاوى من توحيدة الجارة الأرملة، وسناء المُدرّسة ذات الخمسين المطلقة. . ووجدتها (جيهان) كفرصة سانحة لتلقى النار على البنزين لعلها تظفر بزوجة أب ترفع عن كاهلها عبء الرعاية الذي لا ينتهى، وبالفعل ساهمت بشكل لطيف في التقريب بين أبوها الثمانينى وبين سناء المُدرسة، لكن الأب (الذي يمارس الملعنة) كان له رأي آخر، ووقع اختياره على صفاء ذات الثمانية عشرة ربيعًا وصحةً وجمالًا وتألقًا، حاولت جيهان كثيرًا أن تثنيه عن هذا العبث لكنه كان يثور ويكسر ويضرب ويزعم أنه صاحب الصحة والجمال وأن الدهن في العتاقى.

حتى جاء اليوم الذي جاءت فيه جيهان من الخارج وصعدت سلالم العمارة وجدت صفاء تنزل تلك السلالم مرتبكة وهى تعدل ملابسها،

الأب يجلس يدخن سيجارة بعد أن كان توقف عن التدخين منذ سنوات بعيدة وقد تورد وجهه . . إنها الكارثة . .

وهتتجوزها يا بابا؟

ينظر إليها نظرة ساخرة من طرف عينيه وقال بوقاحة ثمانين عامًا . . وهدوء من أنهى لتوه ممارسة الجنس مع فتاة في عمر حفيدته :

اتجوزها ليه؟ هو أنا غشيم أتجوز واحدة شرمـ . . . ؟

بعد أيام قليلة كان بيت صفاء يغلي ، فقد انكشف السر وعرف الجميع أن هذا الرجل الثمانيني كان يضاجع صفاء بواقع مرتين أسبوعيا . .

سرت شائعة في الحارة أن منير أخو صفاء ذو الخمسة وعشرين عامًا قد عقد العزم على قتل أبو جيهان ودعم عزمه بشراء خنجر وقد شوهد أكثر من مرة متربصًا ببيت جيهان ومراقبًا لتحركاتها من وإلى العمل وأبوها في تحركاته في شرفة المنزل ، جيهان أدركت منذ اللحظة الأولى أنها بصدد أن تصبح يتيمة الأب والأم ، وعندئذ فلا شيء سوى الفضيحة واليتم والفقر والضنك .

وذات يوم استيقظت متأخرة من النوم . .

تأخرت ساعة كاملة . .

قامت مسرعة تجهز إفطار أبوها فول وبيض وترتدى ملابسها وتهبط السلالم مسرعة، لكنها اصطدمت بشخص كان يصعد متلصصًا . . أنه منير وخنجره الحاد.

كان منير الذي يراقب تحركاتهما يعرف أنهما الآن في الشغل وأن الأب وحده في المنزل، لكن ارتطامه بنهديها الكبيرين غير مسار القضية من محاولة قضية قتل إلى قضية قصاص . .

العين بالعين . .

والأنثى بالأنثى . .

و "صفاء" بـ "جيهان" . .

وانتهى الأمر بتسوية الخلاف من خلال منير وجيهان ذات خميس حار .

بعد عدة أسابيع ماتت صفاء . .

ألقت بنفسها من بلكونة الدور الثالث . .

لم تحتمل ما حدث لها بعد فضح أمرها، وكان عشرات من أهل الحارة يلتفون حول جثتها وعربة الإسعاف ترفض استلامها والجميع يحوقل في تعاسة.. فقط، كان رجلًا ثمانينيًا يقف في بلكونة شقته وينفث دخان سيجارة من صدر مهترئ.

لذة رخيصة

برائحته الكريهة المختلطة برائحة السجائر، وفالنته الداخلية المترهلة المحتوية على خمسة ثقوب على الأقل، ولباسه الأبيض المهترئ، يجلس أمامى، يستقبلنى بكل جوارحه، يلتهمنى بعينيه شهوةً ورغبة بعدما يغلق الباب والشباك ويغلق النور، أرتعش حينما تمسنى أصابعه.

هذا الصعلوك الحقير يهوانى لعشقه للأجساد العارية، يعشق النهود العارية والأفخاذ، تعوّد أن ينفرد بى منذ سنوات، دون علم أهله، وعلى مرأى ومسمع أهلى الذين يتمتعون بقدر من الدناءة والحقارة. . أختى التي تشاركنى الفعل ولا تشاركنى الإحساس، فهى تتمتع كل الاستمتاع حينما ينفرد بها هي الأخرى، يداعبها بأصابعه في جسدها المليء بالمواضع التي خُلقت لكى تداعبها الأصابع فتستجيب دون أدنى إحساس بالذنب.

أخى فأر صغير حقير، لا يبدو أنه يمتلك أدنى إحساس بالنخوة، بل يبدو كإنسان حينما يهوى على قفاه بالصفعات، أما أبانا الذي يعيش في الصندوق الكبير فقد تعوّد على تلبية الطلبات دون وازع أو

خجل، يُطلب منه بنات عارية فيستجيب، يطلب منه أفلام جنسية فيلبّي.

شقيقتنا المبعثرة في أنحاء الغرفة تهوى إصدار أصوات يندى لها الجبين بلا وازع أو خجل.

صدقني.. ما أصعب أن تجد نفسك شاشة كمبيوتر مملوكة لشاب حقير في سن المراهقة.

لغة البطيخ

لعشاق البطيخ لغة لا يفهمها سواهم، ولا يفك شفرتها غيرهم من التعساء عشاق الجوافة والكنتالوب، لغة صيفية باردة بطعم الثلج، تتبادلها عيونهم حين يرون بائع البطيخ يتهادى حاملًا إحدى بطيخاته، فتبدو حمراء تسر الناظرين والعطشانين الملهوفين على ما يبل ريقهم، وما أن يرى عاشق البطيخ عشيقته حتى يسيل لعابه ويتحول إلى كائن لا يفكر، يخرج محفظته، يحمل معشوقته إلى المنزل، يتأملها مع أهله وذويه من عشاق البطيخ، يرونه فيتبادلون نظرات بلغة البطيخ الخاصة، يلتفون حولها وكل منهم قنبلة موقوته توشك على الانفجار لولا خجله من الآخرين، الذين لا يقلّون شوقًا وظمئًا إلى البطيخ.

يتم تقطيع البطيخة إلى قطع شبه مربعة حمراء رطبة مرصوصة كأنها قطع ذهبية صُبغت بدماء العاشقين، فتنخلع قلوب من حولها وتهفو الأنظار والأنفاس، وثمة محاولات للصبر حتى يتم تسقيعها، لكن الصبر قليل والعمر أيامه بتجرى، يحملها العاشق الأكبر إلى الثلاجة، ينتشر العشاق انتشار النار في الهشيم، منهم من يأتى بالجبن الإسطنبولى الأصلى، ومنهم من يأتى بالخبز الطازج التي تفوح منه رائحة ألف

حارة مصرية ، ومنهم من يتحرك بلا هدى وقد بدا كأسد حبيس العطش، تمر الدقائق وها الساعة تقترب أن تكتمل فيأتى كبار وأطفال العائلة عشاق البطيخ من كل فجٍ عميق؛ هذا يحمل جبناه الإسطنبولى، وذاك يحمل خبزه المفقع ، والجميع يتفقون على أكل البطيخ بالفانلة الداخلية البيضاء ، أو بملابس تم تخصصيها لتلك اللحظات التاريخية ، حتى إذا ما ظهر البطيخ ، فعل فيه العاشق ما يفعله اللص في مال اليتيم ، فعاث فيه فسادًا وسفحه سفحًا وهو يطلق تنهدات تشبه تنهدات العاشقين وآهات المسهّدين ، ودماء البطيخ تسيل على أفواههم ، حتى إذا ما وصلت إلى الفانلات الداخلية البيضاء خضبتها بلون الشفق .

وما هي إلا دقائق وتنتهى المعركة لكن العشق لا ينتهى أبدا .

ما تبقى من تراب في فمى

مقابر الإمام الشافعى . .

أعلم أن جدى قد دُفن فيها في بدايات السبعينيات ، وأن أبى قد دُفن فيها بعده بنحو عشر سنوات ، وبالتالى كنت متأكد أن مثواى الأخير سيكون حتمًا به .

لكن لم أكن أعلم أنه سيأتى بهذه السرعة ، ولم أكن أتخيل انهم سينصرفون بتلك اللهفة للعودة إلى بيوتهم ، وصحيح أن الدموع قد امتدت لعدة أيام تلت دفنى لكن الأيام والأسابيع والشهور والسنين ـ في عمر الموتى ـ ثوانٍ معدودة سرعان ما تنقضى . . ويبقى التراب .

وحدها كانت تأتى كل جُمعة لتجلس على قبرى ، فتاة لا أعرف من هي ، لم تكمل عامها العشرين ، شعرها لم يكمل اللون الأسود وإنما اكتفى بالكستنائى ، ناعم يمتد إلى ما بعد كتفها بقليل ، لها وسط رفيع متناسق وخد أملس ممتد ما بين عينين سوداوين جميلتين وبين شفتين حمراوين أجمل .

تأتى لتجلس صامتة، أحيانًا تخرج من حقيبتها مصحفًا وتقرأ منه بعينيها دون أن أسمع لشفتيها صوتا، كل جمعة يأتى التربى أمامها ليفتح لها باب (التُربة) ثم ينصرف تاركًا إياها جالسة على التربة. .

اليوم علمت أنها تأتى لشخص مدفون معى هنا.

ولا تأتى لى. .

شيء مؤسف. .

سمعتها تتمتم بصوت مجروح:

أنا أسفة يا حبيبى. . كان نفسى أفضل العمر كله جنبك، بس غصب عنى مش هقدر أجيلك تانى، هيجوزونى وهنشغل عنك، فرحى الأسبوع الجاى، هفتكرك وأنا قاعدة جنبه، وهفتكرك وأنا نايمة معاه، وأفتكرك وأنا رايحة أودى ابنى أول يوم المدرسة، كان نفسى يكون ابنك، بس أنت سيبتنى، عارفة إنه مش بإيدك، وانا كمان مش بإيدى أسيبك، مش كل حاجة بنعملها بإرادتنا، حبيبى، استنانى.

عندما مشى ورائى رجل

أنا بنت وحيدة، لى أخوة وأخوات وصديقات ولكننى وحيدة، أنت تعرف أن الإنسان يكون وحيدا ليس عن قلة من هم حوله، لكن عن قلة من هم بداخله، وأنا جوفاء فارغة، قلبى قصرٌ كبير مهجور منذ ٣٢ عامًا، لم يسكنه عاشق ولم يداعبه رجل.

تقول أمى إن سمارى نصف الجمال، ويقول أبى أن دمى خفيف، وهم لا يدرون أن بأقوالهم تلك يؤكدون تلك الحقيقة المرعبة - على الأقل بالنسبة لى - أننى لست جميلة، لا أتمتع بذلك الجمال الذي يدفع رجلا ليسكن بذلك القصر المهجور.

فأنا لا أمتلك ملامح جذابة ولا جسدا أنثويا رشيقا، علمت هذا لما سمعت صديقاتى يتحاكين عن المعاكسات التي يتعرضن لها، وعن الغزل الذي يسمعنه من عيون وشفاه الرجال، أما أنا فعلى مدار ٣٢ سنة لم أسمع كلمة غزل واحدة، أو على الأدق لم أسمع كلمة غزل صادقة.

هكذا الحال يا سيدى..

لذا فأرجوك ألا تتهمنى بالعهر حينما أحكى لك عن ذلـك الـصباح الذي مشى ورائى رجل.

نعم..

مشى وراءة لمدة ربع ساعة كاملـة، وأسمعنـى الكـثير مـن كلمـات الغـزل، تحـدث فيهـا عـن دلال خطـوتى، ورشـاقة عـودى، وليونـة جسدى، وعن التفاصيل اللذيذة التي يربو بها خصرى.

أصدقك القول يا سيدى أننى انبهرت، وأصـغيت للكلمـات الـتي تأتى من خلفى ولا أعرف شيئًا عن قائلها، الفضول يقتلنى أن أنظـر في وجهه، وأن أجذبه من ياقته وأسأله وأنا أقبّله عن مدى صدقه.

هل فعلًا ترانى جميلة؟

هل صحيح أن بى قدرًا من الأنوثة التي ألهمتك تلك الكلمات؟

لكننى لـم أستطع أن أنظر إلى الوراء ولا إلى سؤاله، لا أمتلك الجـرأة لكى أنظر في عينيه، الشوق يقتلنـى لرؤيـة ملامحـه، والفـضول يـشعل نيران روما في عقلى أن أعرف هوية الرجل الذي يمشى ورائى منـذ ربـع ساعة يكيلنى كلماتٍ رائعة كملاكم محترف.

صوت أقدامه يوحى أنه يرتدى حذاء غالٍ وأنيق..

رائحة عطره النفاذ تخبر بوسـامة غـير مـسبوقة . . اعتقـد ان الرجـل الـذي يـضع كـل هـذا الكـم مـن العطـر لا بـدَّ أن يكـون شخـصية استثنائية . .

أغمضت عيني لحظة ، وأخذت نفسًا عميقا ملأ صدرى بقدر هائـل من ذلك العطر الرجالى النفاذ .

صوته الرخيم يشير إلى رجولة وفحولة واضحة . . صوته يـأتى مـن مرتفع فيشي بكلام عن شخص طويل فارع مثلما كنت أتخيل في أحـلام يقظتى .

خطواته الرشيقة تشير إلى عوده المتوسط ورشاقته الظاهرة .

يغازلنى مبسملًا بالله ومحوقلًا ومكبّرًا .

حتمًا إنه رجل متدين .

يا الله . . طويل ورشيق ووسيم ومتدين وذو عطر نفاذ . .

إن هذا أكثر بكثير من أحلامى .

خطوات قدميه غير المنتظمة توحي أنه يحمل شيئًا ما ثقيلًا في إحـدى يديه، حتمًا إنها شنطة سمسونايت أنيقة مليئة بالمستندات المهمـة، هـو مدير حسابات في بنك مهم، أو رجل أعمال مبتدئ، أو محامي ماهر.

أبطأت في مشيتي لا إراديًا حينما أتى ذكر خصري على لـسانه مـع تمتمات بحروف ما عن تناسق خصري مع نهديّ.

تصدر منه شخللة كل دقيقة لتشير إلى أنه يعلق ميدالية ما في يديـه أو جيبه، تضم أكثر من مفتاح، غالبًا مفتاح سيارة ركنها في مكان قريب، ولا شك مفتاح لشقة ومكتب.. لديه مكتب.. وبالتأكيد فيه كتب.. يبدو أنه مثقف تخيلتـه ذا عيـون جميلـة تحيط بهـا نظـارة تزيـده وسـامة ووقارًا.

لُمتُ نفسي على تلك الخيالات والتفاهات، ولكننا يا سيدي نعيش في أحلامنا ما لا نستطيع أن نحياه في الواقع.

هـدأ الـسائر خلفـي مـن خطوتـه، أصـدقك القـول أننـي شـعرت بالضيق، وقررت أن أعبر الـشارع حتـى يـسمح العبـور بإلقـاء نظـرة سريعة على ذلك السائر المغازل، وربما يعبر ورائي وتلتقي عيني بعينيـه ويكون ذلك إيذانًا ببدء حوار قد ينتهي كالآتي:

تسمحى تعدى جنبى عشان العربيات هنا سريعة أوى.

أشكرك . . فعلًا العربيات هنا سريعة أوى

حضرتك شكلك مش من هنا

آه . . أنا جاية في مشوار بس

أنا مش بعاكسك . . وآسف إذا كان كلامى ضايقك . . بس إنتى بهرتينى بأدبك وأناقتك . . ولو ما يضايقيش اسمحى لى أتعرف عليكى أكتر

أنا آسفة مش بكلم حد غريب

بس أنا مش غريب . . قصدى . . أتمنى ما اكونش غريب

(فأبتسم في خجل) أنت جرئ أوى . . إنت متعود تعاكس كدة؟

(فيرد في فزع) أبدا والله . . أنا أول مرة أعمل كدة . . أنا خجول . . وده السبب في إنى وصلت سن خمسة وتلاتين من غير ما ارتبط . . حضرتك مرتبطة؟

لأ . . بتسأل ليه؟

لو سمحتى لى أخد رقمك . . هقولك السبب في التليفون؟

رقمى؟ لأ طبعًا. . أنا ما اعرفكش عشان تاخد رقمى. . (سأشيح بوجهى في خجل) بس ممكن تاخد رقم بابا وتقول له هو السبب.

تعرفى؟ لو كنتى إديتينى رقمك. . احتمال كنت هزعل. . بس رفضك ده بيأكد ظنى فيكى. . إنك مش بنت من إياهم. . أغلب البنات بقم من إياهم. . أنا مبسوط. . حتى لو كانت دى آخر مرة أشوفك

سيخفق قلبى حتمًا وينتابنى شعور بالإحباط وسأبادره بسرعة: إنت عايز دى تكون آخر مرة؟

لأ. . أنا عايز دى تكون أول مرة من مليون مرة أشوفك فيها

سأنبهر برده البليغ وأعجب بحسن ذكائى وتوقعاتى بكونه مثقف وأقف فجاءة فيرتبك وأرد بسرعة: زيرو اتناشر اتنين سبعة اتنين. . .

فيرتبك لمدة ثانية ثم يخرج هاتفه بسرعة ويكتب الرقم وحينما ينتهى من كتابته تكون أكثر ابتسامات الأرض عذوبة وأنوثة قد ارتسمت على شفتى فأنطق في لهجة ساحرة: هستناك. . وتنطلق

أفوق من خيالاتى بتنهيدة حارة يرتفع لها صدرى الخفّاق، وأقرر تنفيذ فكرة عبور الشارع، أنتظر مرور مجموعة سيارات مسرعة وأهدئ

مـن سـرعة خطـوتي وأدلـف يمينـا ، وألقـى النظـرة الأخـيرة عليـه في نشوى . .

ممم ماشي يا دنيا . .

إنه رجل مسن ، بائع عطور على ما يبدو يحمـل في يديـه زجاجـات عطر ، تركني لما رأى فتاة أخرى وغازلها بكلمـات قليلـة ثـم دلـف إلى دكانه الصغير .

ممكن تدينى من جسمك ثوانى

استيقظ من نومه صباحًا على صوت بنات المدرسة في الشارع يمر من تحت شرفته، ضحكاتهم طيّرت النوم من عينهُ، فتثاءب كالنمر وانتفض ونظر حولة فوجد قميصه ملقى من ليلة أمس على الكرسى، فانتشله، وغسل وشّة بشوية ميه، وولع سيجارة وفتح الشباك فرأى مجموعة أخرى من بنات المدارس يتحدثون بمرح، ويزيد الهزار ليصل إلى الزق بالأيد في حالة من الدلع والنشوة.

تنح قليلا وكأنه يتابع فيلم سينيمائى، ومال بجسده النحيل من النافذة لعل وعسى أن يلفت الانتباه، سرح بفكره وتخيلاته للحظات.

فجاءت فتاةُ من المارة إلى خياله..

فتاة مدرسة تعبر الشارع لمحته ببصرها لثانية.

فابتسم.. فنظرت له بتوتر وهى تتابع المشى.. فغمز لها

بعد مرورها بدقائق فؤجى بعودتها مرة أخرى في الاتجاة المعاكس وهى تختلس النظر لنافذته، فابتسم وغمز وأشاح بيده ومال بجسدة، فظهرت شبه ابتسامة على فمها إلى أن اختفت في الاتجاة المعاكس.

انطلق ونزل من الشقة تاركا الباب مفتوحا ووقف أمام المنزل وهو يتوقع عودتها، وبعد دقائق أخرى عادت كما توقع في الاتجاه الآخر وهى تنظر بتوتر للنافذة.

لم تجدة فأحس أنها أصيبت بخيبة أمل، وكان إحساسة كفيلا بأن يشير لها، فوجئت به يقف أمامها، أبطأت من مشيتها فجاءة ونظرت له بتوتر، فأشار لها بصوت خافت: تعالى أختى فوق بتسأل عليكى أنت اتأخرتى عليها ليه؟

خُيِّل إليه أنها فهمت مقصده وانحرفت في طريقها إلى باب المنزل وسبقها على السلم، توقفت أمام أول عتبات السلم خائفة، فشجعها وهو يقول بصوت خافت: تعالى مكسوفة ليه؟

وما هي إلا لحظات وكانت ـ دون قميص المدرسة ـ بين ذراعية.

"أوووووووووووووف"

أطلق آخر أنفاس السيجارة بعنفٍ ساخن بعد أن أفاق من مشهد من مشاهد أحلام يقظته اليوميه.

ألقى عُقب السيجارة وانطلق غالقًا باب الشقة وراءه في عنف، متوجها لقضاء وقفتة الصباحية اليومية أمام مدرسة البنات، كانت

الوقفة اليوم مملة لا تلبى رغبات جسدة المتوهج، فانحرف إلى شارع جانبى لعلة يجد البنت التي رآها عدة مرات لابسة كات، وكان قد وجدها ذات مرة ترتدى ذلك الشيء الذي يسمونه (بدى ستوميك).

تحسس الخطى وهو ينظر بتوتر نحو العمارة التي تسكن فيها فتاة الاستومك.. فلم يجد شيئًا، استمر في المشى وكان الشارع طويلا وخاليا من المارة والجو أقرب للشتاء.

تذكر البنت التي كان أخذ رقمها من واحد صاحبه من قرابة الستين واتصل بها وكانت فتاة من النوع الـ "لعوب" كانت تمتعه للحظات بصوتها الدلوع.. وبعد مكالمتين في يوم واحد وجد الهاتف مغلقا لعدة أسابيع ثم الرقم الذي طلبته غير صحيح.. زفر زفرة ساخنة وتابع المشى.

فجأة.

وعلى مرمى بصرة وجد فتاة تختلف بصريًا عن جميع فتيات المنطقة، ينسدل شعرها الطويل على ظهرها وترتدى قميصًا أنيقًا وجيبة قصيرة.

أسرع الخطى خلفها..

وكان الشارع هادئا . .

كانت الفتاة تتحدث في الموبايل فاقترب منها وهو في قمة التوتر والسخونة مغمغما ببعض كلمات وبسبسة فالتفتت إليه وهى تكمل كلامها في الهاتف . . زادت ضربات قلبة جدا . . فلم يكن من النوع الجرىء . . نظرتها له لا تعنى شيئا . . إصابة كثير من الأمل من أن يحظى بخروجة حلوة . . أو دخول سينيما أو على الأقل تعارف وتبادل أرقام و . . موبايلات بقى .

اقترب أكثر ورسم على شفتيه ابتسامة محاولا أن يظهر واثقًا . . وإنه واد صايع . . يمكن يعجبها . . والعملية تمشى تمام .

زاد وقوفها أمامة دون اعتراض متحدثة في التليفون ـ زاد من ثقتة . . ومن سخونتة أيضا لأقصى درجة . . تمنّى أن يقترب أكثر وأن يقوم بمسك يدها البيضاء الطرية الناعمة . . وأن يقترب من جسدها أكثر كصديق حميم .

وكاد للحظة أن يحولّ أمنيتة إلى حقيقة ، لولا أن ظهر في الصورة فجاءة شاب في مثل أناقة الفتاة ، يرتدى ملابس شبابية غالية وأنيقة ، تى شيرت . . وبنطلون جينز درتى .

متجهًا نحو صديقته . . التي انفرجت أساريرها عندما رأته

ونظر الأنيق إليه في برود قاسٍ . . أجبره على أن يكمل طريقه بطيئًا إلى نهاية الشارع في حسرة شديدة .

وكان يلتفت كلما مرت من أقدامة عدة خطوات ليلقى نظرة على الشاب الأنيق وفتاته .

مرة يلاقيهم بيهزروا . . ومرة ماسك إيديها . . وفى المرة الأخيرة كان يقبلها خلسةً في خدها .

عاد إلى شقته . . وخلع قميصة مرة أخرى . . وأغلق الشباك والنور وغرقت الحجرة في ظلام دامس وتكور على السرير ، مغطيا جسده بالكامل بالبطانية . . وواضعا المخدة على رأسة وأغمض عينية بشدة ، فأقبلت أمامه الفتاة الأنيقة . .

فمد لها ذراعية قائلًا : ممكن تدينى من "جسمك" ثوانى؟

ممكن نتعرف

(١)

انتشر اللون الوردى المليء بالقلوب فى مربع الشات إثر اختيار أوبشن الخلفية العاطفية . .

أحمد: هاى. . ممكن نتعرف

منى: وليه لأ

أحمد: مين معايا؟

منى: الأميرة المتمردة

أحمد: لا والله؟

منى: والنيعمة

أحمد: أهلا بالأميرة المتشردة آآقصدى المتمردة

منى (بقرف): إيه العسل ده يا واد. . انت اسمك إيه ياض

أحمد: الفارس المجروح

منى: لا ألف سلامة.. وده بيرسول ولا شبشب؟

أحمد: لأ توكتوك.. بس توكتوك شبهك تمام

منى: وانت عرفت منين شكلى يا عم الدبدوب

أحمد (ضاحكًا): من الصورة اللى انتى حطاها طبعًا

منى (بخجل): دى صورة السابوه بتاعى

أحمد: الخالق الناطق

منى: بقولك إيه.. بلاش طولة لسان.. إيه تلاقيح الجتت دى.. فكك منى بقى وروح شوف لك حتة ناشفة تقعد فيها

أحمد: بشوقك.. انتى كمان روحى شوفى لك باترينة في محل احذية اقعدى فيها.. بلاش تلاقيح جتت

منى: سلام

أحمد: سلام

(٢)

بعد دقائق من الصمت . .

منى : وانت كام سنة؟

أحمد : أكبر منك بسنتين

منى : ياليلة ملزقة . . يا عم انجز

أحمد : خمسة وعشرين وربع

منى : إيه الربع ده؟؟

أحمد : أصل أنا امى ولدتنى في شعبان، بس كان أبويا مسافر الخليج وعمتى كانت بتقول إن أبـــ

منى : خلاص يابا . . انت هتجيبلى تاريخ السلالة

أحمد : وانتى كام سنة؟

منى : أصغر منك بسنتين

أحمد : يا صباح التباتة المعجونة رخامة

منى : انت مش هتبطل طولة لسان

أحمد : بقولك إيه مش ناقص دوشة . . سلام

منى : سلام

(٣)

بعد فترة من الصمت . .

أحمد : وانتى ساكنة فين؟

منى : المهندسين

أحمد : ياه . . ده إحنا جيران اوى . . فين في المهندسين

منى (بارتباك) : وأنت مالك في المهندسين وخلاص . . إنت هتيجى تكلم بابا؟

أحمد : صباح التدبيس . . شكلك ساكنة في أرض اللوا

منى : إيه ده عرفت منين؟ آاقصدى فين أرض اللوا دى؟

أحمد: هأ. . وانتى بتدرسى ولا صايعة؟

منى: مخلصة آداب

أحمد: وعلى كدة بتعرفى تقرى؟

منى: طبعًا. . وبفهم لغة الحمير كمان. . اتكلم كدة

أحمد: بشوقك. . شكلك مش هتعمرى على ماسنجرى

منى: المكان بقى كله جاز

أحمد: الله يسامحك. . سلام

منى: سلام

(٤)

بعد فترة من الصمت. .

منى: واللى في الصورة أبو عضلات ده يبقى انت؟

أحمد: اه. . بس العضلات فوتوشوب

منى: وانت مين اللى عمل لك العضلات دى بالفوتوشوب؟

أحمد (بفخر): أنا طبعًا

منى: وانت دارس فوتوشوب في أنهى مقلب زبالة؟

أحمد: هتمثلي بقى . . الصورة دخلت عليكي ما تنكريش

منى: بصراحة دخلت عليا . . أول ما شوفتها افتكرتها معمولة ببرنامج الرسام بتاع الويندوز . . ما تخيلتش إنها فوتوشوب خالص .

أحمد: وعلى فكرة أنا لاعب فيها بالفوتوشوب عشان أصغر عضلاتي شوية . . عشان البنات بتنهار .

منى: طب حاسب يا عم المبنى لتنهار

احمد: احترمي نفسك

منى: انت شكلك لبط . . امشي من هنا

أحمد: سلام

منى: سلام

(٥)

بعد فترة من الصمت . .

أحمد: ممكن اشوف صورتك؟

منى: أوك هحطها بس هشيلها على طول . . عشان البقر عندى كلهم أونلاين

أحمد: طب ما تعملى للبقر أوفلاين عشان تبقى مختلفة عنهم

منى: مش فاهمة؟ بس شكلك بتشتم

أحمد: لا ياحبيبى اوعى تقولى كدة اخص عليكى تصدقى زعلت

منى: قشطة عليك . . ما انا كدة كدة هوريك صورتى وهمسحك بعدها

أحمد: موافق

(منى تضع صورتها لبضع ثوانى ثم تخفيها)

أحمد: انتى مرتبطة؟

منى: لأ ومش عايزة يا عم الفارس

أحمد: ولا انا.. تصدقى بدأت دماغك تعجبنى.. ايوة كدة بلا ارتباط بلا وجع قلب

منى: شكلك واخد تسعين قفا على سهوة

أحمد: ما عاشت ولا كانت.. أنا بس بحب عيشة الحرية

منى: قشطة عليك.. تعجبنى

أحمد: طب حيثُ إنك ساكنة في بولاق الدكرور يبقى أكيد بتعدى على الجيزة؟ ماتيجى نتقابل

منى: لأ.. ما بنزلش الجيزة.. بعدى على أنور السادات

أحمد: أنور؟؟ ده حبيبى.. ده أنا راشق هناك ليل نهار

منى: خلاص قشطات

أحمد: بكرة الساعة خمسة نتقابل في اتجاه حلوان

منى: البس حاجة مميزة عشان اعرفك

أحمد: لأ هحط لك حزمة جرجير في عروة القميص

منى: لأ دى تحطها في. . طبق السلطة. . لأ أنا اكيد هعرفك لإن أكيد كل اللى في المحطة هيبقى شكلهم محترم.

أحمد (لم يفهم): ربنا يخليكى يا مزة

منى: أشوفك على خير

أحمد: أشوفك قدام عربية السيدات

منى: سلام

أحمد: سلام

(٦)

محطة مترو أنور السادات وهرجلة في المحطة للحاق بالمترو المقبل و(منى) تقف بجوار ماكينات التذاكر وحيدة ومرتبكة تحمل شنطها وتبدو وأسمى آيات القرف على وجهها ومرتدية ما على الحبل من ملابس وينسدل شعرها القصير على كتفها وترتدى السابوه إياه. . وفى الخامسة والنصف يأتى (أحمد) كطفل تائه من أمه يتلفت حوله

ويميل على كل البنات الواقفات في المحطة بنت بنت. . تتعرف عليه منى دون عضلاته فتجرى عليه وتلحقه قبل حدوث فضيحة

منى: أحماااااد؟

أحمد: مين حضرتك؟ أحمد مين؟

منى (بحرج): أنا أسفة أوى

أحمد: يعنى إيه أسفة يا أستاذة. . مفيش أدب؟ مفيش حياء؟ بتتحرشى بيا؟ إنتى ما عندكيش أخوات في الرضاعة

منى (تقلب على الوش التانى): بقولك إيه أنا اتأسفت لحضرتك. . كنت مستنية زميلى أحمد واتلخبطت وافتكرتك إنت. . أصلك شبهه.

أحمد: لأ طبعًا مش أنا. . ثم أنا ما عرفتش ولا بنت من على الشات.

منى: أنا أسفة مرة تـ. . إيه؟ من على الشات؟

(ينفجر أحمد ضاحكًا)

منى : نهارك أسود غامق مغمق غميق . . إحنـا يـاض مـش معادنـا خمـسة؟ استناك لخمسة ونـص؟ هـو أنـت متعـرف عليـا ف موقـف ميكروباظات؟

أحمد (يغنى) : من خمسة لخمسة ونـص . . وأنـا واقـف بـستناك . . وعنيا عليك بتبص . . ياحبيبى ومش شايفاك . . واييييه

منى : وإيه الأخضر المخطط اللى أنت لابسة ده؟

احمد : مش قولتى لى تعالى بحاجة مميزة . . أدينـى زرعتنـى بقـدونس عن طيب خاطر

منى : حمار مخطط واقف في المترو؟ أتأخرت ليه يا بنى ادم

أحمد : المترو كان واقف في الإشارة ساعة

منى : شكلك جاى راكب حمار

أحمد (ينظر للسابوه في قدميها) : بس تصدقى السابوه طلع جامد . . كنت فاكره شبهك . . طلع أحلى

منى : أنت مش محترم وأنا غلطانة إنى وافقت أقابل واحد زيك .

تتركه وتمشى بخطوات بطيئة . .

(٧)

يلحق بها ويمد خطوته ليمشى بجوارها . .

أحمد: تحبى نقعد فين؟

منى: أي مكان تحبه . . بس ما يكونش بيئة

أحمد: عنيا

(٨)

يجلسان في إحدى الأماكن البيئة المطلة على النيل ، يتبادلان أحاديث تقليدية قصيرة ويشربان شايا بنعناع على كرسيين بلاستيك أوشكا على الانهيار في قاع النهر ، وفى عيون كل منهما خيبة أمل مجهولة المصدر .

أحمد: مبسوط إني شوفتك

منى (بضيق): وأنا كمان

أحمد: على تليفونات بقى

منى: قشطات

احمد: سلام

منى: سلام

أحمد: خدى هنا رايحة فين. . إنتى مش نازلة المترو؟

منى (بألاطة): لأ أنا هوقف تاكسى

أحمد: وأنا هركب المترو. . سلام يا وزة

منى: سلام يا عم المُزارع

يمشى أحمد في اتجاه المترو وتنتظر منى حتى يأتى أتوبيس ٩١٨ وتسنط فيه.

(٩)

على القهوة. . أحمد وصديقه عادل. .

أحمد: رحت قابلت البت يا معلم

عادل: ياراجل؟ وإيه نظامها

أحمد: صاروخ أرض-جو يا نجم

عادل: شكلك ابتديت تنخع

أحمد: ليه يعنى؟؟

عادل: أصلها لو صاروخ.. إيه اللى هيخليها تروح تقابل واحد معفن – لامؤاخذة – زيك

أحمد: ليه يا أخى.. إنسانة ضايعة.. أميرة تايهة مش لاقية الفارس ذو التوكتوك الأبيض اللى ينتشلها من بحور الضياع

عادل: ينتشلها إيه ياعم السباك.. جيب من الآخر

أحمد (بحزن): بصراحة مش صاروخ

عادل: قصدك وحشة وشبه الرغيف المدعم؟

أحمد: لأ مش أوى كدة.. شبه الرغيف أبو بريزة.. بس بنت ناس

عادل: يا عم هو إنت رايح تظبط ولا تتجوز.. يعنى طلع الحوار فكسان.. ركز بقى مع البت الجديدة بتاعة الفيسبوك.

أحمد: قشطات

(١٠)

في بيت منى

ولاء: يعنى ما طلعش مز؟

منى: لأ

ولاء: ولا شاب استايل؟

منى: لااااء

ولاء: ولا روش؟

منى: لاااااااء

ولاء: ولا شنكوتى؟

منى: انتى هترصى لى القاموس كله؟ ما قولنا لااااء.. معفن من الآخر ومبهدل ولابس الجزمة فردتين شمال..

ولاء: طب فكك منه بقى.. ركزى مع الواد بتاع السكاى بى.. لو ركزتى كويس الواد ممكن يقول.

منى: بس أحمد حد ابن ناس. . حسيت للحظة إنه بيخاف عليا

ولاء (بخنقة): طب سلام أنا. . عشان خالتى بتولد ولازم أروح لعمتى

منى: سلام

(١١)

بعد شهرين. . أحمد يمسك بالموبايل ويطلب رقم في غيظ ويتمتم بصوت مكتوم. .

"بقى البت من بعد ما شافتنى قلبتنى زى ما أكون فرس نهر جربان. . إخص على كدة. . بس حيثُ إن البت بتاعة الهوتميل مش عايزة تيجى. . فلازم أعاود الكرّة مع البت منى"

أحمد: ألوو. . منى؟

صوت مرتفع جدًا: ألوووه. . أيوة مين؟

أحمد (بصوت مرتفع): حضرتك ممكن أكلم منى؟

الصوت: صاحبة الموبايل إنت تعرفها؟

أحمد (برعب): لأ خالص. . ولا عمرى شوفتها. . هو في حاجة حضرتك؟

الصوت: صاحبة الموبايل خبطتها عربية دلوقت. . لو أنت من أهلها ياتلحقها يا متلحقهاش. . في التقاطع اللى تحت كوبرى غمرة من ناحية امتداد رمسيس

(١٢)

التقاطع تحت كوبرى غمرة. . تاكسى وأتوبيس سياحى وعربية كارو وميكروباص لابسين في بعض. . قطع من الخردة يتخللها أعضاء بشرية ونهر من الدم

رجل عجوز: لا حول ولا قوة الا بالله

رجل طويل: حد يشيل قصادى

شاب لزميله: تعالى اما نتفرج

بنت لزميلتها : يااای حاجة فظيعة

ولد لابوه : هما الناس دول نايمين كدة ليه يا بابى

رجل خواجة : اوه ماى جود

بنت مثقفة : ماهم لو ماكنوش شعب بقر ما كانش ده حصلهم

فتاة ليل لصاحبتها : ما تيجى نـدور في الأعضاء دى يمكـن نلاقـى حاجة شغالة هيهيهيهيهيييي

رجل دين : من أعمالنا سُلط علينا . . دعونا نتوب يا إخواني

شاب فرفور : يالهوى دم

رجل شرطة : ياللا ياض أنت وهو من هنا

رجل طفيلى : هو في إيه؟ هه؟ هه؟

رجل مفتى : البنت اللى هناك دهى . . وقفـت فجـأة وهـى بتعـدى الشارع . . قام التاكسى دهوه دخل في العربيـة دهـى . . قـام الأتـوبيس دهوه مقلوب عليهم

وليةكبيرة : يا عينى يا كبدى

الجميع بلا استثناء التف حول الحادث في حلقة دائرية تقوم بمهمة منع الأكسجين عن الوصول لأى كائن حى داخل الحلقة.

رجل: في جثة بتتحرك هناك أهى

صوت صرخة تهز منطقة رمسيس..

منى: يالهوى يامة الحقووونى.. ما حدش يلمسنى.. ماحدش يلمسنااااااااااى.. اوعى ياض ايدك.. اوعى ايدك يابت

الجميع يهلل: الله أكبر.. واحدة عايشة..

أخذوا في التصفيق الحاد وقد تناسوا باقى الجثث.

فجاءة.. تمتد يد شخص يرتدى قميص أخضر مخطط.. لتنتزع يد منى من وسط الانقاض.

(١٣)

منى ترقد في الجبس في بيتهم.. ولاء تمسك قلم وتسلى نفسها بالرسم على الجبيرة في قدم منى.

منى (تتكلم بصعوبة): تصورى إنه فضل بايت للصبح حتى بعد ما أهلى ما جم المستشفى. . وتصورى إنه تبرع لى بدمه. . فصيلته نفس فصيلتى. . تخيلى إن دمه بيجرى في عروقى دلوقت.

ولاء (وهى ترسم على قدم منى المتجبسة): الله الله. . ده ما طلعش هو اللى فارس مجروح. . ده إنتى اللى طلعتى أميرة متخرشمة. . بقولك إيه. . أنا ما فهمش الكلام اللى إنتى بتقوليه ده. . الواد ده وشه نحس عليكى. . ده حتة واد صايع متعرفه عليه من على النت. . يعنى عايز يقضيها. . يا تقضيها يا إما تفكك.

منى (تتأمل ما رسمته ولاء): بس ده عمل كل ده وبعد كدة مفيش أكتر من مكالمة كل يوم بيتطمن عليا والقلق مالى صوته. . ما بيتكلمش في حاجة أكتر من كدة

(١٤)

على القهوة. .

عادل: ياراجل؟ حاجة غريبة أوى. . دى كان شبه الرغيف المدعم دلوقت تلاقيها شبه قطر الصعيد

أحمد (بعتاب وضيق): أتلم بقى.. حرام عليك بطّل تريقة البت مخيشة في تاكسي وبقت شوية أعضاء بشرية.. بعدين ما تتخيلش أهلها ناس محترمين أد إيه

عادل (يفكر بعمق): إنت بتحبها يا أحمد؟

أحمد (مرتبكًا): لاااا مش حب.. بس أصل يا أخى أهلها ناس محترمين أوى.. بعدين البت غلبانة ورقيقة.. هي صحيح لسانها عامل زى مضرب التنس.. بس من جوة زى الجبنة القريش.. الصراحة بقى يا عادل أنا بحبها

عادل: بتحبها؟

احمد: أه.. وبموت فيها يا أخى.. ملهوف عليها كدة

عادل: طب وإنت ناوى على إيه؟

أحمد: أممم.. هقابلها لما تقوم.. وهفاجئها

(١٥)

في بيت منى . . منى وأمها تجلسان على الأرض ويقرطفان حزمة من الملوخية . . أم منى تلقى بالملوخية على الأرض وتصرخ :

أم منى : يالهوووووى . . الحقوووووونى يا نصيييييبتى

منى : ما تهدى يا حاجّة وبلاش فضايح

أبو منى (صوته يأتى من الداخل) : إشهقى كويس يا ولية خلّى شمخة الملوخية تطلع تمام

أم منى : تعالى يا رجل شوف الفضيحة بنتك عايزة تتجوز واد صايع من بتوع النت

أبو منى يأتى من الداخل بالفالنة واللباس . . وهو يفرك عينيه ويبدو مذبهل . .

أبو منى : بتقولى إيه يا ولية؟ الملوخية اتدلقت على النت؟

أم منى : يادهووتى يا نصيبتى . . بنتك انحرفففت يابو منى

أبو منى صارخًا : بقت بتشرب ملوخية؟

أم منى : يامصيبتى يانا . . ياراجـل بنتـك انحرفـت وعـايزة تتجـوز واحد متعرفة عليه من على النت.

أبو منى : إيه؟ بتقولى إيـه؟ وكمـان بتعرفـى ولاد مـن بـلاد بـرة يـا فاجرة . . ده أنا لازم أربيكى . . طاااخ طاااااخ طااااخ

(١٦)

أحمد ومنى (ومنى لازالت متخرشمة إثر الحادث والعلقـة) يجلسـان في نفس المكان البيئة المطل على النيل ويشربان شاى بنعناع

أحمد يتأمل وجه منى بدهشة

احمد : هي مناخيرك كانت بتلات خروم كدة؟

منى : بطّل بقى . . حادثة وعلقة . . عايزها تفضل بخرمين

احمد : يعنى إيـه أهلـك رافـضين؟ طـب وانتـى قولتيلـهم ليـه إننـا متعرفين من على النت؟ ما قولتيش ليه كنـت زميلـك في جامعـة . . في مدرسة . . في أي نصيبة

منى: جامعة إيه ومدرسة إيه.. ماهم عارفين إنى مخلصة كلية بنات.. والمدرسة والجامعة كانو بنات في بنات.. زميلى منين بقى.. كنت مخبياك تحت البنش؟ بعدين ما ينفعش أكدب عليهم

أحمد: هما شايفين لك عريس ولا إيه؟

منى: مش عارفة.. بس حاسة من كلامهم إن في حد بيحوم.

أحمد (مداعبًا): خلاص نضرب ورقة عرفى؟؟

منى (مداعبة): جتك ضربة في نافوخك.. أنا غلطانة إنى حبيت واحد منحرف

أحمد: أنا منحرف يا بتاعة الملوخية.. بتشربى ملوخية عشان تنسى؟ هيق هيق هيق

(١٧)

يتمشيان في وسط البلد إلى أن يصلا تحت كوبرى غمرة..

أحمد: فاكرة أول مرة قلبك دق ونطق باسمى؟ كان في المكان ده

منى: فاكر أول مرة لمست فيها إيدى؟ كان في المكان ده

أحمد: أيوة وإيدك كانت يومها أربع صوابع بس.. لقيتى الحاجات اللى وقعت؟

منى: بس يا بايخ.. وانت كنت محتاس وعمال تلم أشلائى وأخدتنى في تاكسى ووديتنى المستشفى

أحمد: .. أيوة والتاكس لهف خمستاشر جنيه.. فين الخمستاشر جنيه اللى عليكى يا بت

منى (بجدية واهتمام): إعمل محاولة أخيرة.. كلم بابا وأقعد معاه.. واعزمه على شيشة معسل.. يمكن دماغه تلين

أحمد: معسل وقص وسلوم.. وراه لحد ما يشتعل ذاتيًا.. أنا مش هسيبك أبدا يا منى.. إوعدينى إنك ما تسيبينيش

(١٨)

بعد شهرين على القهوة. . وأحمد يمسك الموبايل ويعاود الاتصال مرات ومرات. .

عادل: أبوها وقفل السكة في وشك. . وأمها وفرجت عليها الدنيا. . والبت موبايلها اتقفل من تلات شهور. . واختفت نهائى عن الوجود. . وانت لسه بتدور عليها

أحمد: والله يا عادل مش عارف أعمل إيه. . بس أنا ناوى اعـ..

فجاءة. .

يرن تليفون أحمد ليعلن قدوم رسالة. .

يقرأ أحمد الرسالة:

صحيح اتجوزت وصحيح بقيت حامل ف أحمد صغير بس مش هنساك أبدا. . يا أحلى أحمد في الدنيا. . مُنى

في انتظار ما لا يأتى

نصحتنى أمى كثيرًا أن أتزوج وإلا سأجد نفسى عجوزًا وحيدًا لا عيل ولا تيل ولا زوجة أتوكأ عليها وأهشّ بها على حدتى . . وليتنى سمعت كلام أمى . .

وقالت لى لو ظللت هكذا فستعيش وحدك . . وتموت وحدى .

وليت الأمر قد اقتصر على الموت وحدى .

لو كنت سمعت كلام أمى لما كنت أوقعت نفسى في هذه اللحظات العصيبة .

مرت سنون عمرى سريعًا حتى وجدت نفسى شخصًا وحيدًا ، يعيش وينام ويأكل في وحدته وعزلته التي بدأت تتسرب تدريجيًا إلى حياته . .

أخرج وأعود وحدى . .

وشيئًا فشيئًا ألفت الوحدة وتعودت عليها حتى صارت جزءًا منى، بل إن اللحظات القصيرة التي كانت تزورنى فيها عـزة كنـت أتـضايق منها وقد انقطعت عن تلك الزيارات القصيرة منذ زمن بعيد.

استيقظت تلك الليلة لأجد الشقة مظلمة تمامًا.. حسنًا لقـد انقطـع النور كالعادة وأنا نائم.

الدنيا شديدة الظلام بالداخل والخارج، يبدو أنه انقطاع عمـومى في كل أطراف المنطقة.

يبدو أننا قبيل الفجر..

لا صوت نباح الكلاب في الشارع..

ليتنى سمعت كلام أمى..

جوفى جاف تمامًا، ذهبت إلى الحنفيـة لأشـرب منهـا مباشـرة كمـا تعودت منذ طفولتى لكن فحيحًـا مـصحوبًا بهـواء جـاف كمـا لـو أن الحنفيةلم تذق طعم المياه منذ ألف عام.

الباب مغلق وصعب جدًا في تلـك اللحظـات أن أتعـشم في العثـور على مفاتيحى، وأنا أعثر عليها أساسا بصعوبة في النـور لكـونى أكثـر أهل الأرض إهمالًا.

الثلاجة خاوية كما تركتها وجافة، يبدو أنني نمت كثيرا وأن النور قد انقطع منذ فترة طويلة.

أشعر بألم شديد في عمودى الفقرى يكاد يعجزنى عن الحركة.

فقراتى تتهشم في ظهرى، وجلدى يحرقنى بشكل مريع كما لو كان ينسلخ من جسمى ويذوب.

الأرض كما هي لكنها أكثر برودة من المعتاد.

لا أرى ولا نقطة نور كما لو كنت غرقت في قاع محيط..

ظلمات فوق ظلمات..

حتى إن تلك الكلمات لا أراها.. فقط أحسها بداخلى..

حسنًا..

حينما سأجوع سأتصل بمحل الكشرى القريب وأطلب علبة مملوءة حتى الحافة بالكشرى اللذيذ ومالدى من نقود قليلة سيكفينى حتى أخرج من تلك الظلمة.

ربما لا أستطيع العثور على نقود في تلك الليلة الحالكة لكن بالتأكيد أن عادل عامل الديليفرى لن يتركني اموت جوعًا وسيتصرف حتى لو لم أستطع أن أفتح له الباب.

ربما أدلى له من البلكونة ذلك السَبَت الذي لم أستخدمه من قبل..

باب البلكونة مغلق كما لم كان جدارًا أسمنتيًا..

انتظرت كثيرًا..

لا أدرى كم من الوقت انتظرت..

يقولون إن كل شيء نسبى وإننا نشعر بالوقت لحدوث تعاقب الليل والنهار ولوجود عقارب الساعة التي تتحرك دائمًا دون توقف.. وبحركة الناس والأشياء والسيارات نشعر بالوقت

والآن لا شيء يتحرك ولا نهار يتعاقب مع الليل.. فقط ليل طويل.

لا أدرى كم مر من الوقت ربما عدة ثوانى وربما ألف سنة.

وقت طويل قد مر.. بلا جدوى

الغريب أننى لم أشعر بالجوع

بل إن شعورى بالألم قد بدأ يذهب شيئًا فشيئًا

يا إلهى

هل أصبت بالعمى؟

صحيح أننى في الأيام الأخيرة قد بدأت أشكو مر الشكوى بعينى ومن تردٍ حادٍ في النظر، لكن هل يصل الأمر إلى هذا الوضع المفجع.

قرأت من قبل عن رجل أستيقظ من النوم وظل ساعات يظن ان النور قد انقطع حتى أخبروه أن الكهرباء لم تنقطع لكنه قد فقد بصره.

إذن سأسلى نفسى بالغناء كما تعودت..

على صوتك بالغنا!!!!!!!!. . لسة الأغانى ممكنا!!!!!!!!

ياليلة سودا ومنيلة بنيلة، لا أسمع صوتى..

على صوووتك صووووووتك بالغنا!!!!!!!!

لا أسمع ما أقوله، ولا حتى الجدران تردد صدى ما أقوله كما تعودت..

مرت الساعات والسنين وأنا أجلس في انتظار الصباح..

ندمت على كل لحظة كانت تأتينى فيها عزة وأعاملها بجفاء.

وندمت على كل لحظة كانت تنصحنى فيهـا أمـى بـالزواج حيـثُ اللقمة النظيفة والضحكات والدفا.

وندمت على كل لحظة قضيتها لوحدى..

يا إلهى ساعدنى..

بكيت بكاء مريراً..

بكاء صامتًا لم أشعر به..

شعرت به فقط بداخلى.. لكنه بكاء دون دموع..

ودون نحيب.. ودون يد تربت على كتفى..

بكيت حتى انتهى البكاء..

فضحكت ضحكًا هستيريًا كنت أتمنى أن أسمعه أو أشعر به..

حتـى يـدى حينمـا أضعها علـى وجهـي وأدفنـه فيهـا لا أشـعر بملامحى..

يبدو أن ملامحى هي الأخرى قد ذابت..

التليفون فقد حرارته.. وأصبح آلة صامتة باردة لا حرارة فيهـا ولا روح..

اشتقت كثيرًا للجلوس على المقهى. . ليتنى أجد مفتاح الشقة لطرت الآن إلى المقهى لأحتضن أصدقائى الذين تعودت على مجالستهم والقهقهة حتى الصباح. .

اشتقت كثيرًا للأثير الإلكترونى الذي كنت أتواصل به مع أصدقاء وجميلات من كل مكان في الدنيا وأقرأ فيه أحاديث العالم وأنا جالس في فراشى الوثير المريح الدافئ. .

يا إلهى. .

يارب ساعدنى لأخرج من تلك الظلمة. .

يارب لقد أذنبت وليس لى إلاك. .

هل نمت كالعادة في المساء؟

بدأت الآن أتذكر بصيص من الذاكرة كما لو كان مشهدا ضئيلا مر عليه ألف عام لشاب يعبر الطريق السريع وتنتابه فرحة عارمة بشىء ما قطعتها نظرته القلقة لسيارة قادمة من بعيد وصوت كلاكس حاد يأتى بسرعة مذهلة و. . ولا شيء

لا أذكر شيئًا بعدها. .

جلست كثيرًا أنتظر دون جدوى . .

جلست في انتظار الصباح ينهى هذه الظلمة التي تصيبنى بالجنون والقهر . .

في انتظار نقطة نور تكسر حاجز الظلام الدامس . .

أو في انتظار شخص يخبرنى أننى أصبت بالعمى فأستريح . .

لم يعد أمامى سوى الانتظار . .

حتى يأتى الصباح

جثة تنتظر الموت

(١)

تقطع خطواتى الشارع الطويل كقطارٍ نهم يلتهم القضبان اللانهائية ، سأضع الليلة نهاية لمأساة بدأت منذ سنوات ودفعت أنا ثمنها من ماء ظهرى ثم تُركتُ ككلبٍ ضالٍ .

سأطعنها في أعز ما تملك وأبوح بما جرى بينى وبينها وأتركها غارقة في دموع ودم ، ستموت الملعونة التي سلبتنى ماء ظهرى ورحلت ، وتركتنى حقيرًا كخرقة استخدمتها ثم ألقتها ، وادّعت الفضيلة وطالبتنى أن أختفى من حياتها كعورةٍ نجسة ، ستدفع معى فاتورة ما اقترفناه على حين غفلة من زوجها الخائب .

سأقتحم خلوته وأبوح بسرٍ عمره سنوات ، سأطعنه في سويداء قلبه ، وسأضرم النار في أحشائه ، وسأشعل الجمر تحت جفونه ، سأفنى رجولته ، وأقطع عضوه الذكرىّ ، وأخرج بيضتيه وأصنع منهما أومليت يأكله الناس وهم يتبادلون قصص العار .

توقّفت أمام محل أرى به عدة تليفون قديمة يستخدمها الزبائن في عمل مكالمات سريعة.

حسنًا..

لا أحتاج أكثر من دقيقتين سأنهى خلالهما المهمة

(٢)

يتأرجح الأتوبيس فيأرجح النار المشتعلة في دواخلي وذرّاتي.

أعود من عملي كالمجنونة إلى البيت لأنقذ ما يمكن إنقاذه قبل أن يضرم ذلك المجنون النار في حياتي المستقرة السعيدة.

هل يفعلها ذلك النجس؟

هل سيفضحني كما توعّد بالأمس؟

الله وحده يعلم أنني لم أفعل ذلك حبًا في الخيانة، فقط لإنني أحب ذلك الرجل الذي أذاقني السعادة كأسًا لا ينضب، وفقط لأنه عقيم لا ينجب، وفقط لأنه كان يشتعل أمامي شوقًا إلى طفل، وأعلم جيدًا أنه لو عرف بعقمه لطلقني، ولافترقنا للأبد، ولعاش وحيدًا تعيسًا، وأنا

أحبه، صحيح لم أكن أحبه قبل الزواج، تاريخى المؤسف مع ذلك العشيق النذل كان يضع بينى وبينه حائطًا عاليًا، لكننى أبديت ندمًا وأسفًا بينى وبين من لا يعلم النفوس إلاه.

وحينما عدت إلى عشيقى القديم لم أكن لأبغى أكثر من حيوانٍ منوىٍ واحد، يصنع لنا طفلًا يملأ الدنيا ضحكاتٍ من حولنا.

يالاجنونى وشذوذى..

أنا؟ من أنا؟

أنا فتاة مات أبواها فرافقت رجلا عدة سنوات، ضاجعته لأنه كان حائطًا تستند عليه، ثم جاء العريس المحترم، فتركتُ رفيقى وتزوجت، وسرعان ما أحببته ووجدت فيه رجلًا طيبًا شريفًا نظيفًا، ثم لما تأخر الحمل ذهبنا لإجراء تحاليل طبية، ثم ذهبت لمعرفة نتيجة التحاليل، فكانت التحاليل أننى سليمة، وأنه عقيم، أخفيت عنه عقمه، وأخبرته أن المسألة هي مسألة وقت، وذهبت إلى عشيقى، أوهمته أننى في اشتياق إليه، وضاجعته للمرة الأخيرة، وأنجبت، وفرح زوجى فرح الفارس المنتصر، ثم بعد عامين أراد زوجى طفلًا آخر، وبدأ قلقه يتنامى مع تأخر حملى، وآه من النيران التي اشتعلت

بي حينما أخبرني أنه ينوى عمل تحاليل طبية أخرى ليطمئن، آه لو علم أنه عقيم.

طلبت منه الانتظار عدة أسابيع، وعاودت التجربة مع عشيقى، وأنجبت طفلى الثانى، وأخبرنى زوجى المبتهج أنه لا يريد المزيد من الأطفال.

"كدة فضل ونعمة"

واستقامت حياتى وهدأت..

لكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن..

عاود عشيقى الاتصال بى، ومطاردتى وإهانتى، يريدنى النجس، ويتساءل عن غيبتى، أخبرته أننى أحب زوجى، وأمرته عن يبتعد عنى، فأخبرنى أنه سينتقم بإخبار زوجى.. اليوم.

(٣)

اليوم عيد زواجى من حبيبتى، التي ذقت في حضنها كؤوس السعادة، وارتحت بين يديها أسمي آيات الراحة، تغيّبت عن عملى

لكى أرد لها يومًا واحدًا من سنوات عاشت في خدمتى ولراحتى. ورفضت أن تتغيب هي عن عملها، حتى أستمتع برؤية أثر المفآجات في عينيها.

أتيت بالتورتة الكبيرة المرسوم عليها وجهها ومنقوش عليها اسمها بشيكولاتة بيضاء تحبها.

وطهوت لها طعاما شهيا، ونظفت الشقة، واعتنيت بالطفلين، وعطّرت الجو بعطرها الآخاذ، أدندن بفمى لحنا طالما غنيناه سويًا، وصنعت في الورود الحمــ. . .

ترررررن ترررن

يبدو أنها تهاتفنى كمحاولة فاشلة منها لاستباق الحدث، سأخبرها أنى نائم، وفى انتظارها لكى تطهو وتجهز الطعام، حتى إذا جاءت ذاقت مفاجأتى. .

ألو. . أيوة. . مين. . إيه؟ إنت مين. . إيه. . إنت مين انطق. . ممم. . ألوو. . ألووو

(٤)

"على جنب لو سمحت"

وغادرت الأتوبيس قدماى لا تستطيع حملى . . استر يـارب . . هـل فعلها المجنون . . انتفض قلبى حينما اهتز هاتفى المحمول . .

الوو . . إيه؟ يا مجرم يا ابن الكلب . . ألووو

(٥)

أمشى في الشوارع ككلب ضال منذ ساعة ، لا أعـرف هـل أعـود أم أختفى ، يا ويلتى من الفضيحة ، سأعود لألقى مصيرى .

(٦)

لا جديد سوى نظراته الزائغة ، وحركاته البطيئة بشكل غير معتـاد ، واصطناعه الكلمات بصعوبة بالغة ، وابتسامته المرسومة زيفًا في وجهـه طوال الوقت ، وألمه البادى في عينيه بوضوح ، لقد فعلها ابـن الكلـب ،

لكن لماذا لم يبد هـذا الرجـل – الـذي هـو حبيبـي وكنـت حبيبتـه ـ رد فعل ، لما لم يقتلني ويذبح طفليه ، لماذا يُبدى كل هذا الهدوء .

أكلنا . .

وشربنا . .

ولعبنا مع الصغيرين . .

وهو على حاله . .

غامضًا . .

واجمًا . .

كجسد فقد بريق الحياة وصار يعمل بالكهرباء . .

مـضت سـنوات تخـترق جـسدى في كـل لحظـة رصاصـة ، ويقطـع أمعائى سم زعاف مع كل وجبة ، أنام بنصف عين في انتظار نصل حـاد يذبحني ، وأخاف من كل خطوة يمـشيها تجـاهى ، وأمـوت رعبًـا كلمـا ارتفعت يديه لتلمسني .

أعيش الحياة قلقًا ورعبًا وموتًا في انتظار انتقامه . .

سيدة الدبابيس

كانت الست فتحية تزن مائتين من الكيلو جرامات . . ثم فتح الله عليها فسد نفسها ونقص وزنها حتى أصبح ١٣٠ كيلو جراما لا غير . . فأصبحت تشعر شعور الفراشة في البستان . . وترمح رمح الغزلان في الشقة . . صحيح أن البيت القديم المتهالك كان يرتج تحت قدميها . . لكنها لم تكن تعبأ بذلك . .

والحاج فتحى زوجها كان سعيدًا بوزنها الجديد كل السعادة وشعر أن الدنيا قد فتحت له أبوابها . . فهو من بعد شوقة وغيبة سيبوس ويحضن ذلك الجسم الطرى . .

لكن الست فتحية اكتشفت أن كل ملابسها متسعة عليها اتساعا مرعبا . . فنفس الملابس التي كانت تحتوى يومًا ما جسمًا يقارب الربع طن . . ستحتوى الجسد الرشيق ذى المائة وثلاثين كيلو جرام لا غير . .

القميص الأحمر الذي ارتدته ليلة الخميس ليكون رمز الاحتفال بالرشاقة مع الحاج فتحى المشتاق صار أشبه بقماش سرادق ضخم أقيم على ناصية الشارع . . مئات من الكيلو مترات من الدانتيل الأحمر يقبع

جسم الست فتحية فيه ضئيلًا . . أخذت تتلفت الست فتحية حول نفسها مرات ومرات وتتساءل في مرارة . .

أين الهانش المحترم . .

أين النهود العارمة . .

وقبل أن تضيع فرحتها أدراج الريح اهتدت إلى فكرة تحل مشكلتها وتنهى أزمتها مع الملابس الشاسعة . .

الدبابيس . .

تؤمن الست فتحية بسحر الدبابيس وفعاليتها في تلك المسائل الطارئة . . فأحضرت آلاف الدبابيس وأخذت تضيق القميص من هنا . . ومن هنا . .

من عند الصدر ليبرز النهود . . ومن أسفل ليصفّ الأرداف ومن الخصر ومن الضهر ومن البطن . . مئات الدبابيس أحاطت جسدها المهلبيّ ليضبط القميص المتأجج . .

وكانت المفاجأة . .

لم يتمالك الحاج فتحى نفسه فانسلت من الجلابية وألقى بنفسه في مائة وثلاثين كيلو جرامًا من اللحم البشرى. .

وكعادة الحاج فتحى يتعامل مع الست فتحية على أنها وجبة غذائية كاملة الدسم تحتاج لتفعيل الجهاز الهضمى بدءًا من الشفايف الغليظة واللسان والأسنان لكى يتذوق وكأنه بصدد أكل كارع بتلو نزل لتوه من على النار. .

لكنه هذه المرة صرخ وهز جعيره أركان المنزل المتهالك. .

فقد انغرست الدبابيس في جسده وصرخت خلاياه من الألم. . ولم توقف اعتذارات الست فتحية سبابه وشتائمه. .

بعد أن أنهى الحاج فتحى مهمته جلس متحسسًا الثقوب التي اجتاحت جسده فجعلت منه منخل إسطمبوللى بديع. . وهو يغمغم في ألم:

إياكى يا ولية تعملى عملة الدبابيس داهى تانى

في اليوم التالى كانت الست فتحية على موعد مع القميص الأبيض. . وهو قميص ساتان ورثته عن المرحومة أمها التي يقال إنها تجاوزت النصف طن. . والقميص الأبيض يقاس بالهكتار

والأفدنة. . احتاجت الست فتحية لآلاف الدبابيس لتقييف القميص على جسدها الضئيل ذى المائة وثلاثين كيلو جرام. .

الحاج فتحى فشل في التراجع بعدما انغرست الدبابيس في شتى أنحاء جسده. . ولعن سنسفيل جدود فتحية على السبحة

جرس الباب يرن وهو يحاول أن يتملص من الدبابيس. .

أخوه الحاج كارم أخبره بعد صلاة الجمعة أنه سيمر عليه في المساء. . وها هو قد أتى ليحتسى معه قدحين من الشاى أبو نعناع.

لكنه تأخر في فتح الباب. .

ثم فتح الحاج فتحى الباب بوجه ملطخ بالدماء وجسد مسخن بالجراح وجلد مسلوخ ففزع الحاج كارم. .

مالك يا خوى. . حادثة عربية تانى؟

فطأطأ الحاج فتحى رأسه قائلًا:

لأ بلدوزر يا كارم يا خويا

الجسم الصامت

كانت أقل الواقفات كلامًا، حتى عندما قدموه إليها اكتفت بهمهات غير مسموعة، لكنها كانت أكثرهن جمالًا ورقة، صمتها وابتسامتها أضفيا على جمالها جمالا آخر، لم تنطق طوال وقفتهم التي دامت أكثر من ربع ساعة بأي كلمة، لكن رغم ذلك كان يختلس لها النظر حينما يتكلم، يتمتع باستجابة تعبيرات وجهها، فهي تبتسم وتعقد حاجبيها، وتخجل، وتتأثر وتضحك، لكن في صمت بالغ.

شعرُ كستنائي يهبط متموجا عبر رقبة ناعمة بيضاء طويلة ليتخطى أكتافا مرمرية إلى ما قبل الخصر بقليل، عيون عسليّة تظللها رموش طويلة سوداء، شفتان بنكهة الكريز بلا طلاء، بالطو يتنبع وينحني ليشف عن صدر ناهد وخصر عجيب ومؤخرة طرية، وينتهي قبل الركبة بعدة سنتيميترات، ليبدأ المسيرة جورب شفاف يصف قدمين من العاج الإفريقي تمت تطريته وتنديته..

مازلت الثرثرة تنهال على أذنيه من الفتيات الأربعة، لكنها بقيت صامتة، تداعب الحوار بديناميكية صامتة، تحول نظراتها لكل من يهم

بالكلام، وتعاود الابتسام، فيعود إلى دائرة الكلام، فتعلق بصرها به، فيوجه لها الكلام برشاقة، ويعرج على موضوعات قد تسمح لها بمشاركة الحديث.. لكن هيهات..

سألها في مداعبة: شكلك فنانة.. بتدرسى فنون؟ لكنهن كان يقطعن سؤاله قبل أن يتمّه.. وكان مبتذلًا أن يعيد السؤال، فعاود الكرّة بعد قليل، تحدّث عن زحمة المواصلات ثم وجه لها الكلام: ما إنتى لو بتركبى المترو كنتى هتشوفى الزحمة على حق.. بتركبى المترو؟ فعاودن دفن أسئلته في ضحكاتهن وكلماتهن، لم يشعر بنشوة تليق برجل يقف وسط خمس فتيات جميلات، على العكس كان قلبه يغوص في حزن غامض، سينتهى اللقاء الذي جمعه بهنّ صدفة بعد أقل من دقيقة، وستمضى هي إلى الأبد، كعادته كلما أعجبته فتاة، أو أعجبه شيء.

وانتهى اللقاء بالفعل، ورحلن، شعر أنها تودعه بنظرات باسمة معجبة، أو هكذا تهيأ له، سينساها حتمًا، كما نسى أخريات، لكن لا بأس من أن يتمتع بذكراها عدة أيام، أن يسبح معها في بحر الخيال اللذيذ، تخيلها صديقته، عانقها، مشّط شعرها الكستنائى الكيرلى بأصابعه، استمتع بنظراتها العاشقة في وجهه، هاتفها كل مساء قبل أن

ينام ملتذذا بصوتها الناعم الدافئ، بل استدعاها الليلة إلى فراشه، وفعل بها ما شاء، ثم نام في أحضانها إلى الصباح.

وفى الصباح، كانت أحلام الليل قد تبخّرت كالعادة، ارتدى ملابسه على عجل، ونزل إلى الشوارع الغارقة بالمطر، والناس المهروّلة، والطرقات المبتلّة، ورآها.

كانت تبدو كجزء شاذ من اللوحة، بهدوئها وجمالها، وأناقتها، وهى تسير باستمتاع تحت المطر، وسط بشر يهربون منه، قطع المسافة بينه وبينها بخطوات واسعة سريعة، حتى دخل دائرة الرؤية، رأته فابتسمت في خجل، ابتسامة تحكى كلامًا من نوعية: أنا أعرفك، وأتذكرك، وأتذكر حديثك الباسم يوم أن قابلتنا أنا وصديقاتى اللاتى هن صديقاتك، وأنك شخص لطيف، لكننى لن أتوقف للحديث معك.. وقبل أن يصل إليها، كانت قد أوقفت تاكسي ورحلت.

في المساء كان يهاتف إحداهن، يختلق موضوعات عدة قبل أن يلقى الجملة التي يسعى إليها، إنها الطريق الذي قد يصله بها، حكى لصديقته عن الصدفة التي رآها فيها، وانهمك يحكى كيف كانت تسير هادئة تحت المطر، وأنه كان يود أن يصافحها لكنها رحلت بسرعة، فصمتت صديقته قليلًا قبل تحكى عن فتاة أصيبت في أحبالها الصوتية

بمرض عضال، فأصبحت صماء لا صوت لها، تعيش في عالمها الصامت وحيدة.

أطراف المدينة

ضجيج يتعالى من كل مكـان وأنـوار مبهـرة تغـشى الأعـين وهـواء خانق محمّل بروائح البشر يحيطـون بـي ويطبقـون علـى صـدرى، مـا جعلنى أرتـدى مـا تيسر مـن ملابسى وأنطلـق سـيرًا، لا لهـدف لـو الوصول لمكان يخلو من البشر والهواء الخانق والأنوار المبهرة.

أخـذنى الـسير إلى أطـراف المدينـة، حتـى بـدأت تهـدأ الأصـوات وينساب نسيم الليل الشفاف النقى، ويحل الظلام محل الأنوار المبهـرة، هناك على أطراف المدينة حيـثُ بـدأت البيـوت تـصغر تـدريجيًا إلى أن صارت بيوتا من طابق واحـد أو طـابقين، واحتلـت الأرض المزروعـة محل الشوارع والميادين، وانـسابت أطـراف القريـة مـن رحـم المدينـة، واختلف التوقيت المحلى، فهنا الناس نيام من بعد العـشاء لا يـسهرون للفجر مثلما يحدث في المدينة.

الآن حل الظلام إلا من بعض ما ترسله النجوم والقمر إلى الأرض، هنا لا بشر من حولى، فقـط أرض متراميـة الأطـراف وبمنتـصفها يبـدو كوخ من الطين بارتفاع لا يزيد عـن طـول الإنـسان، أخـذتنى قـدماي

للكوخ لعلى أجد بعضا من الشاى المغلى على الكـانون بـصحبة غفـير سهران .

تنامَت إلى مسامى أصوات بكاء أو تـذلل ، اقتربـت إلى أن لامـست أذناى جدار الكوخ وأرسلت عينى نظـرات مختلـسة مـن طاقـة صـغيرة مغطاة بسلك ، فهالنى ما رأيت . .

شابين وفتاة . .

فشاب يجلس أحدهما ممسكًا بجوزة وساحبًا منها أنفاسـا يبـدو أنهـا تفعل برأسه الأفاعيل ، والشاب الآخر يبدو أنه يراود فتاته عن نفسها ، لكنه يترفق بها ، يطلب منها قُبلة أو حضن وهى ترفض في جمـود يخفـى دموع وخوف . .

تسمرت في مكانى مراقبًا الموقف وحابسًا أنفاسى . .

كان الشاب الجالس يراقب الموقف في خمول يفـصله الترقـب مـن آن لآخر حينما تعلو همهمات الفتاة التعسة ، والشاب المراود يمد يديـه إلى كتفيها فيمسكه ثم يسحبه مارًا على صدرها بـسرعة ، والفتـاة خائفـة ، ورافضة عرض القبلة والحضن . .

كان يبدو جليًا أن الشاب المراود قد بدأ صبره ينفذ وأنه قد يفارق اللين إلى العنف، وأن جسده يتضور اشتياقًا إلى الفتاة الطرية، وأن. .

" موافقة تبوسنى. . بس بشرط "

قطعت الفتاة الصمت المخيم على الموقف بجملتها، فجذبت نظر الشاب الجالس معانقًا جوزته، وأجفل الشاب المراود فأنزل يده عن جسدها البض ومترقبًا لذلك الشرط، وعينيه تحمل تساؤلًا عنه.

" أبوس زميلك زى ما هتبوسنى "

ألقتها الفتاة فشرحت لى شيئًا عن طبيعة الموقف. .

تُرى ما الذي أتى بهذه الفتاة مع هذين الشابين في هذا المكان النائى الساكن، هل هذا الشاب هو صديقها أو ربما حبيبها، هل أتى بها للمكان بدعوة السمر، وأن غرضه منها قد اختلف الآن وصار يطلب منها قبلة وحضن وربما سيطلب أكثر؟

هل ألقت الفتاة هذا الشرط لتحرك فيه الغيرة، أو لتعجزه وهي تعرف أنه سيغار عليها، وأنه قد يصحو ضميره الآن بعد هذا الشرط المهين.

" موافق "

قالها الشاب بصوت كالفحيح الهيجان.

" ياللا تعالى في حضنى "

تركزت عيناى على الصدمة التي علت وجه الفتاة، وترقبت رد فعلها الذي هالنى أنا شخصيًا، فقد انفجرت الفتاة في البكاء، كطفلة صغيرة أخذت تنتحب، وقد بدأ الشاب في التحول من مرحلة المراودة لمرحلة جعلته يعمل على فتح أزرار صدرها البض الممتلئ.

فكرت لوهلة ما الذي يمكن أن يفعله شخص مثلى في هذا الموقف، هل أتدخل وقد يكون لى ديّة، شخص متلصص اقتحم أرضًا واسترق السمع على حشاشين مختلين بفتاة.

لم أكن بالشجاعة الكافية للتدخل لحماية فتاة لا أعرفها ولا أعرف لماذا قد أتت إلى هنا، ولم أكن بالدناءة لأكتفى بمشهد المتفرج.

تقعد الموقف وأنا الذي هرب من المدينة بحثًا عن هدوء الأعصاب والاختلاء بكوب من الشاى المغلى على الكانون.

وقبل أن أقدم على خطوة كان الشاب الجالس الصامت من أول المشهد قد انتفض واقفًا فبدا على ضوء المصباح الأصفر الصغير عملاقًا..

"روحّها"

تجمد المشهد لوهلة وقد بدا على الشاب المراود أنه لم يفهم.

"ياللا روحها. . أو سيبني أروحها"

أعادها الشاب مرة أخرى في حسم، فبان الاستياء على وجه الشاب المراود واستكمل ما كان يفعله وحاول ضمها إلى صدره، فبان أن الفتاة قد تماسكت قليلًا وأبعدته في عنف. .

هنا امتدت يد الشاب المتفض لتنتزع يد صاحبه عن صدرها. .

"بقولك سيبها. . وروحها ياللا. . ما تلمسهاش"

"وإنت مالك يا عم"

"ملّة على جنابك. . هتروحها ولا أتغابى عليك؟ "

اشتعل الموقف وبدا أن طبول الحرب بين الصديقين قد دقّت، لكن على العكس فقد لانت ملامح الشاب المراود ونظر إلى الأرض قليلًا وقد بدا مفكرًا في الأمر ثم ما لبث أن ابتعد عن دائرة رؤيتي ثم سمعت صوت كبريت يشتغل ودخان يُزفر بقوة.

أمسك الشاب المنتفض الفتاة من يدها وفتح باب الكوخ، فتواريت لكنه لمحني، فاعتدلت في رهبة، وسألت في تلقائية. .

" ألاقيش معاك كبريت يا عمنا "

قلتها وأنا أخرج من جيبي سيجارة، فرمقني الشاب بنظرة شك سرعان ما تحولت لاستسلام ومد يده بالكبريت ساخطًا، أشعلت سيجارة ومددته إليه ملقيًا بعد عبارات الامتنان والشكر .

هي في الحقيقة لم تكن شكرًا على الكبريت .

عن المؤلف

أحمد حنفي محمود الصبَّاغ.

مواليد القاهرة ٢٦ أغسطس ١٩٧٩م.

تخرَّج في كلية الزراعة، جامعة القاهرة عام ٢٠٠١

يمارس التصوير الفوتوغرافى والكتابة الإلكترونية والصحفية في العديد من المجلات الإلكترونية، والمطبوعة، والصحف منذ عام ٢٠٠٧ ـ جريدة الدستور، وجريدة العربي الناصري، ومجلات مثل كلمتنا، ومحرراً للقسم الساخر بجريدة المال والعقار الاقتصادية وغيرها

صدر له:

كتاب مُسيّل للدموع ـ عن ثورة ٢٥ يناير ـ دار المصري للنشر ٢٠١١

الضرب في الميت ـ من الأدب الساخر ـ عن دار المصري للنشر ٢٠١٠.

للتواصل مع الكاتب من خلال البريد الألكترونى:

sabbaghmail@yahoo.com

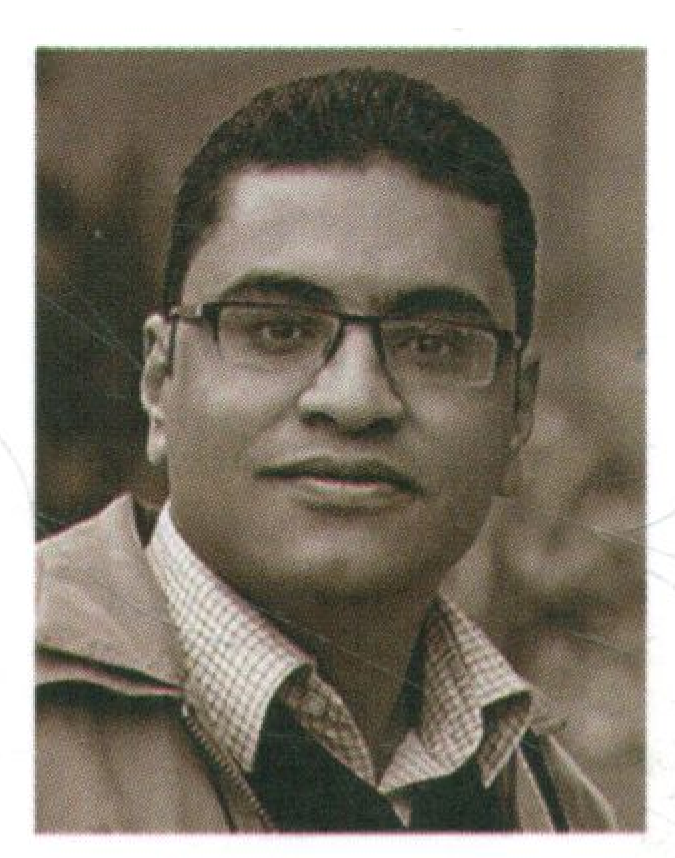
والصفحة الشخصية على موقع فيسبوك:

www.facebook.com/ahmed.alsabbagh

فهرس المحتويات

الدليفري لا يصل إلى الحارة

مجموعة قصصية



أحمد حنفى محمود الصبّاغ كاتب ومصوّر من مواليد القاهرة فى 1979 تخرج فى كلية الزراعة جامعة القاهرة ، صدر له "الضرب فى الميّت" عام 2010 و"كتاب مسيّل للدموع" عام 2011.

إستيقظت المدينة هذا الصباح على حادث عجيب يحدث لأول مرة فى تاريخ المدينة الممتد لأكثر من ألف عام، مصحوباً بأصوات نسائية تولول وتصرخ، والتفاف جمع غفير من الناس حول حفرة يشير إليها شخص فى ذهول ويحكى كيف رأى "الواد والبت بتاعته" قد وقعا فى تلك الحفرة التى انشقّت فجاءة تحت قدميهما، وأدلى كل مواطن بدلوه فى تفسير ما حدث كعادة الناس فى تلك المواقف، ثم بدأت الظاهرة تتكرر عشرات المرات كل دقيقة فى انحاء البلاد ..

وتعاود لإحتضان مخدتها البيضاء، لولا أنها أحسّت بحركة غريبة غير مُعتادة خارج غرفتها، شَعُرت لوهلة أن الموقف قد تكرر من قبل، وقبل أن تتذكر متى، دخل عليها بقامته الشاهقة، ووجهه الوسيم، وشعره الجميل رغم تبعثره، وبيجامته البيضاء المخطوطة بالطول والتى بدت مألوفة لها، يدندن صفيراً منغّماً سمعته حتماً من قَبل..

أمسكَ بالكيس فى توتر، ثم أخفاهُ فى جيبه الصغير فبدا الجيب منتفخاً مُلفتاً للنظر، تلفّت حوله فى ربية، واتخذ سبيله فى الحارة [illegible] على ركن مظلم، فأخرج الكيس ونظر [illegible] ثم قرّبه من فمه الصغير، ونفخ [illegible] حتى انتفخ الكيس عن اخره ..

دار العلوم للنشر والتوزيع